مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسى .
يصارع للحفاظ على حياته .
والحفاظ على سلامة عقله .

حالة ديجافو

5

Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمـــة

من منا لم يحتج إلى شخص يتكلم إليه بحرية فينصت له باهتمام؟ من منا لم يحتج إلى أخ ليشاركه همومه و مشكلاته ؟ من منا لم يحتج إلى صديق مخلص يسدى إليه النصيحة ؟ من منا لم يحتج إلى طبيب نفسى ؟

أعرفكم بنفسى ... د . (ياسين العوضى) .. استشارى الطب النفسى وعضو الاتحاد العالمى للصحة النفسية .

ستلتقون معى فى كل عدد مع حالة نفسية كنت أعالجها وكانت لى جلسات معها .. ستعتادون على هذه الجلسات العلاجية .. وربما تدمنونها .

إن النفس البشرية أعقد من أن نفهمها على مر العصور .. وهذه السلسلة هى محاولة متواضعة لتأكيد هذا المضمون . بالنسبة لاسم السلسلة فأنا أرى أنه مناسب ؛ لأنى أتحدث عن حالات خاصة بالفعل .. ولأن معظم هذه الحالات يبدءون حديثهم بجملة « أنا حالة خاصة جداً يا دكتور » وكأنهم جاءوا ليدهشونى فقط .. وليس أملاً فى الشفاء .

ستتعرف بإذن الله من خلال هذه السلسلة على الأمراض النفسية .. سنتكلم عن الأعراض العضوية والأعراض النفسية .. ونتناقش فى طرق العلاج .

سنتحدث عن الهلاوس .. هل تسمع هذا الصوت المخيف ؟ هل ترى هذه الفتاة العرجاء ؟ هل تشم هذه الرائحة الذكية ؟ ... هل تجلس بجوارى الآن ؟

سنحاول تفسير أحلامنا بوجهة نظر نفسية .. سنجيب سؤال : لماذا حلمنا بذلك ؟

سنحلل العقد النفسية .. من هو (أوديب) ؟ هل سمعت عن (إلكترا) ؟

سنسألك عن الفوبيا (Phobia) .. هل قرأت عن البارانويا (Paranoia) ؟

هل تعانى من الوسواس القهرى ؟

هل تتحدث أثناء نومك ؟ هل تسير أثناء نومك ؟ هل تنام بكثرة ؟ لماذا لا تستطيع النوم ؟

سنتأمل الحيل الدفاعية .. لماذا نمارسها بكثرة ؟ هل هى صحية ؟

وسنعرف الكثير عن الصراعات النفسية .

سنتساءل فى حيرة : من أنت ؟ هل (أنت) كما ترى نفسك ؟ أم

Looloo
www.dvd4arab.com

(أنت) كما تريد أن تكون ؟ أم (أنت) كما يراك الآخرون ؟ أم (أنت) شخص آخر ؟

ستكتشف أنك لست وحيدًا .. هناك (الأنـا) و (الهو) و (الأنا الأعلى) .

ستعرف كيف تتعامل مع الآخرين .. كيف تفهم الآخرين .. وقبل كل ذلك .. سنساعدك لكى تفهم نفسك .

أيكفى ما قلته كمقدمة ؟ فلنبدأ القراءة إذن .. ولكن مهلاً ..

يجب أن تعلموا من البداية أننى لن أستخدم الأسماء الحقيقية للمرضى ، لأنه لا يجب أن أصرح باسم الحالة ..

إن الطبيب النفسى يجب أن يحافظ على أسرار مرضاه وعلى شرف مهنته .. كأى طبيب آخر ..

و .. كأى صاحب مهنة أخرى .

د . ياسين العوضى

1 - نهايـــة ..

المشهد كان غريبًا ..

غريبًا جدًا ..

لم أتخيل يومًا أنى سأقف مثل هذا الموقف الغريب العجيب فى شقة (نادين) .

كنت أقف فى الصالة .. قابضًا بيدى على مسدس .. مصوبًا فوهته ناحية رأس (أسامة) .. الذى كان يقف بجوار عمته وابنتها (نادين) خطيبتى .

هل تتذكرون (أسامة) ؟ .. (أسامة شوكت) ..

ذلك الوغد الغيور .. لقد فعل الكثير لإفساد خطوبتى وتدمير مستقبلى .. حان الوقت للانتقام منه .

كنت سعيدًا للغايـة وأنا أشاهد نظرات الذعر فى عينيه .. قلت له بهدوء :

- الآن .. أنت خائف منى .

نظر (أسامة) للمسدس الذى أحمله وقال مرتجفًا :

- لابد أن أخاف .. يمكنك أن تنهى حياتى الآن بضغطة واحدة

Looloo www.dvd4arab.com

علـى الزنـــاد .

ثم ابتلع ريقه وقال بتردد :

ـ ولكن .. لابد أن تخاف أنت أيضًا .. تخاف على مستقبلك .. سوف تُسجن يا دكتور إذا قتلتنى .

قال جملته ثم تراجع خطوة بسيطة للخلف ليبتعد عن فوهة المسدس أما (نادين) فقد صاحت غاضبة فى وجهى :

ـ اخفض مسدسك يا (ياسين) .. لا يمكننا حل الأمور بهذا الشكل .. دعنا نتفاهم .

نظرت إلى أميرتى وقلت لها بغضب :

ـ لا يوجد تفاهم .. لقد دمر سمعتى .. لقد دمر مستقبلى .. لقد دمر كل شىء .

قال (أسامة) بخوف شديد وهو يحاول الابتعاد عنى أكثر :

ـ آسف يا دكتور على كل ما سببته لك .. أرجوك اخفض المسدس .. لن تستفيد شيئًا من قتلى .

لوحت بالمسدس ، فتسمر مكانه من الخوف .

طبعًا لن أقتل (أسامة) ولا أريد قتله ، ولكن لابد أن أقنعه

أنى مستعد لذلك ..

لابد أن أخيفه أكثر وأكثر .. عقابًا له على ما فعله بى .

قلت له بلهجة قوية قاسية :

ـ لن يفلح أسفك الآن .

ولوحت بالمسدس فى وجهه لأجعله على يقين تام أنى لن أتردد لحظة واحدة فى قتله .

قالت حماتى :

ـ اهدأ يا ولدى .. وكل شىء يمكن إصلاحه .

ـ لا يمكن إصلاح ما تكسر .. لابد أن أقتله .

وقفت حماتى أمام (أسامة) لتحول بينى وبينه :

ـ إذا كنت تريد قتله فاقتلنى قبله .

قلت لحماتى بغضب :

ـ ابتعدى عنه أرجوك .. إنه هو الذى يستحق القتل .

ـ لا .. لن أبتعد حتى تلقى هذا المسدس أرضًا .

تعجبت كثيرًا من موقف حماتى البطولى .. هل هى مستعدة حقًا للموت ؟ أم إنها تفعل ذلك لأتراجع عن موقفى ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

أم إنها على يقين أنى لن أطلق رصاصة واحدة فأرادت أن تنهى هذه التمثيلية السخيفة - التى أقوم ببطولتها - بتمثيلية أخرى - تقوم هى ببطولتها - أكثر سخافة من تمثيليتى ؟

نظرت (نادين) لى بغضب .. ثم تحركت لتقف أمام والدتها .. لتزيد عدد الحوائط البشرية التى تحول بينى وبين (أسامة) ..

ويتحول الأمر من تمثيلية سخيفة إلى شىء آخر لا أدرى كنهه .

لماذا يفعلان هذا ؟ هل يعتقدان أنى سأقتله فعلاً ؟

صاحت أميرتى بشجاعة منقطعة النظير :

- لا تقتل أحدًا .. وإن كنت تنوى قتل أحد .. فاقتلنى أيضًا لأنه لا يمكننى العيش وأنت فى السجن .

هزت كلماتها مشاعرى .. لذا قررت إنهاء هذه التمثيلية السخيفة وإعادة المسدس لجيبى .. لكن ..

جاءت والدتها من ورائها ووقفت أمامها وقالت بشجاعة :

- بل اقتلنى أنا أولاً .

ثم فوجئت بابنتها تقف أمامها من جديد وتقول نفس الجملة :

- بل اقتلنى أنا أولاً .

ثم عادت أمها لتكرر ما فعلته ..

الأمر صار مملاً بحق .. إنهم يتسابقون للوقوف أمامى وكأنى أدعوهم على مائدة الطعام .

أصبحت أمها أمامى الآن .. ثم عادت ابنتها لتقف أمامها ولكن قبل أن تفعل حدث ما لم أتوقعه أبدًا .

وفى لحظة ..

بل أقل .

سمعت دوى رصاصة تنطلق فى المكان ..

ثم رأيت بقعة حمراء تتكون على ملابس حماتى .

لم أفهم ما حدث .. لم أستطع استيعاب الأمر .. لم أصدق أن هذه البقعة الحمراء قد تكونت من دماء حماتى بعد إصابتها برصاصة غادرة .

ثم سقطت حماتى أرضًا وهى تمسك صدرها مكان الإصابة والدماء تسيل على أصابعها وتتأوه بصعوبة ..

لم أنس ولن أنسى نظراتها لى ..

هبطت (نادين) على الأرض بجوار أمها فى نصيح :

Looloo www.al-maktabeh.com

ـ ماما .. ماما .. ردى علىّ .

تركت المسدس يسقط من يدى .. واتجهت إليها مسرعًا وقلت بذعر :

ـ يا إلهى .. ما هذا ؟ .. كيف ؟

سمعت صوت (أسامة) خلفى يقول بكل قسوة :

ـ لقد قتلتها يا مجرم .

أما (نادين) احتضنت رأس أمها و قالت وهى تنظر لى بعيون ملأتها الدموع :

ـ لماذا فعلت هذا ؟ .. إن أمى تحبك .

ـ صدقينى .. لم أكن أريد هذا .. لم أكن أريد قتل أحد .. بل إننى أشك أن الرصاصة خرجت من مسدسى أصلاً .

قال (أسامة) :

ـ سأبلغ الشرطة .

قلت له بغضب :

ـ دعنا نذهب للمستشفى أولاً .. هناك أمل أن تعيش .. هيا بنا .

هبط (أسامة) على ركبتيه .. نظر فى عينى عمته ثم وضع

رأسه على صدرها ليستمع إلى نبض قلبها .. رفع ذراعها ثم تركه فسقط على الفور .

صرخت (نادين) بارتياع ، أما (أسامة) فقال بحزن شديد :

ـ لقد ماتت .. عمتى ماتت .

هبطت على الأرض بجوارهما وأمسكت معصمها وتحسست نبضها ثم ...

نظرت (نادين) فى عينى لتعرف نتيجة فحصى .. فعرفتها على الفور .. لم أنطق بكلمة .. لكن الصمت أحيانًا يكون أبلغ من الكلام .

هنا قالت (نادين) بصوت مختنق من البكاء :

ـ لقد قتلتها .. لقد قتلت أمى .

ارتعد جسدى كله من هول الفكرة وقلت :

ـ (نادين) .. أنا لم أ.....

لم أستطع إكمال جملتى .. أما (نادين) فتابعت قائلة وهى تنظر لى بنظرات غضب تكفى لقتلى لو أن النظرات تقتل :

ـ أنا أكرهك .. أكرهك .. أكرهك

Looloo
www.dvd4arab.com

سرت فى جسدى قشعريرة باردة .. شعرت أن الدنيا تضيق وتظلم من حولى .

نهض (أسامة) واتجه إلى الهاتف و قال :

ـ سأبلغ الشرطة لتنال جزاءك يا مجرم .

ولم يكتف بهذا .. بل قال أيضًا :

ـ لقد انتهيت يا دكتور .

وكان محقًا ..

لقد انتهيت .

لقد انتهت حياة حماتى .. وانتهت معها حياتى الطبيعية كمواطن شريف بلا سجل إجرامى .. وانتهت حياتى المهنية كطبيب .. وانتهى حب (نادين) لى .. وانتهت حياة الحرية .. وسأقضى أيامى القادمة فى السجن أو يصدر الحكم بإنهاء حياتى .

لقد انتهى كل شىء .

لقد انتهيت .

انتهيت .

* * *

2 ـ بدايـــة ..

كيف بدأ كل هذا ؟ سوف أخبركم ..

البداية كانت فى نفس المكان .. كنت جالسًا مع خطيبتى (نادين) فى الصالون ..

وفجأة دق جرس الهاتف .. فى الحالات الطبيعية نقوم بالرد .. نرفع السماعة و نقول الكلمة المعتادة (آلو) .. لكننا ـ أنا وخطيبتى ـ تضررنا كثيرًا فى الآونة الأخيرة بسبب الاتصالات المفاجئة التى تحمل أنباءً سيئة دائمًا .. لذا قلت لها هذه المرة :

ـ لا تردى .

وسمعت خطيبتى النصيحة ولم ترد .

وتوقف رنين الهاتف .. لم نكن نعلم أنه توقف فجأة لأن حماتى قد ردت عليه من داخل إحدى الغرف .. وقالت :

ـ آلو

ـ آلو .. كيف حالك يا عمتى ؟

ـ أهلاً (أسامة) .. كيف حالك يا بنى ؟

ـ لماذا لم تأتيا لزيارتى كما وعدتمانى ؟

Loolaa
www.dvd4arab.com

- سوف أتى إن شاء الله .. أنا أريد رؤية شقتك الجديدة .

- وماذا عن (نادين) ؟

- لن تستطيع .

- لماذا ؟ ما الأمر ؟ هل هى بخير ؟

- نعم يا ولدى .. بخير و لكن ..

- ولكن .. ماذا ؟

- خطيبها الدكتور طلب منها ألا تزورك .

- لماذا ؟ ألم يعلم أنك سوف تأتين معها ؟

- حتى لو كنت معها .. إنه يرفض أن تزورك بأى طريقة .. بل وطلب منها ألا تتحدث معك إذا جئت لزيارتنا .

- هكذا .

- يبدو أنه يغير منك .

صمت للحظات .. ثم

- لا تغضب يا ولدى .. سوف أجلس معه وأخبره أنك ..

قاطعها قائلاً :

- هناك سر يجب أن تعلميه .

- سر .. ما هو ؟ .. أخبرنى يا ولدى .. لقد أقلقتنى .

صمت للحظات ثم قال :

- أنا أعلم من الذى صدم (نادين) بسيارته .

* * *

هناك من يفاجئ خطيبته بقصيدة غزلية كتبها من أجلها ليعبر بها عن مشاعره تجاهها ويصف لها عذابه فى بُعدها .. وهناك من يكتفى بإهداء خطيبته وردة .

لى صديق أهدى خطيبته سيارة ثمنها قضى على نصف رصيده فى البنك .. أما أنا فقد صدمت خطيبتى بالسيارة وكدت أقضى على حياتها .

قد يضحك البعض .. وقد يتعجب البعض .. وقد لا يصدق البعض .. ولكنها تظل الحقيقة .. الحقيقة المؤسفة .

لقد صدمت خطيبتى بسيارتى أثناء محاولتى إنقاذ حياتها .

هذا السر لا يعرفه سواى وخطيبتى والسيدة (ماجدة) و (أسامة) .(*)

(*) راجع (حالة الفراشة السوداء)

Looloo
www.dvd4arab.com

و لقد وعدنى الأخير أن يظل هذا سرًا ولن يخبر به أحدًا .. ولقد أوفى بوعده وتعجبت من هذا .. لم أتصور أن يكتم (أسامة) هذا السر .. لقد توقعت أن يستغل هذا السر ليفسد الخطوبة .. فقط يخبر عمته به وهى ستقوم باللازم .

لماذا كتم (أسامة) السر ؟ الإجابة : لا أعلم .. هل أصبح طيبا فجأة ؟ أم إنه يريد استغلال السر كورقة رابحة يدخرها للوقت المناسب ؟

وكان الاحتمال الأخير هو الأقرب للواقع .

ففى ذلك اليوم .. فوجئت بحماتى تخرج من إحدى الغرف وهى غاضبة بشدة .. وتقول :

ـ ما هذا يا دكتور ؟

نظرت إليها مندهشًا .. لم أكن أعلم سر غضبها .. قلت بهدوء :

ـ ما الذى حدث ؟

ـ لقد عرفت الحقيقة .. عرفت من الذى صدم ابنتى .

من الواضح أن (أسامة) كشف السر أخيرًا .. لقد توقعت

حدوث ذلك منذ زمن .. ولكن .. لماذا كشف السر الآن ؟

نهضت من مكانى وقلت :

ـ فى الواقع كنت أنوى إخبارك .

صاحت بغضب :

ـ متى يا دكتور ؟

ثم نظرت إلى ابنتها وسألتها :

ـ وهل كنتى تعلمين ؟

صمتت أميرتى ونظرت لى وكأنها تستنجد بى لكى أرد بدلاً منها .. أما أمها فقالت بغضب :

ـ لولا (أسامة) ما كنت علمت بالأمر .

وهكذا تأكدت أن استنتاجى صحيح .. (أسامة) هو الذى كشف السر .

قلت محاولاً الدفاع عن نفسى :

ـ لم أقصد أبدًا أن أصدمها بسيارتى .. أنت تعلمين جيدًا أننى أحب .....

Looloo
www.dvd4arab.com

هنا رأيت أغرب تعبير على وجه حماتى .. ربما أصنفه تحت مصطلح (الدهشة) أو (الذهول) أو أى مصطلح يحمل نفس المعنى .. وهذا يدل على أنها تعلم هذه المعلومة لأول مرة .. ولكن كيف ؟ هل هذا معقول ؟ ألم يخبرها (أسامة) بالسر ؟

فوجئت بها تصيح مذهولة :

ـ ماذا ؟! .. أنت ! .. كيف ؟! .. أنت ! .. أنت ! .. أنت ! ..

وظلت تكرر كلمة (أنت) .. وكل (أنت) تختلف عن (أنت) الأخرى من حيث الحدة والمدة .

اندهشت عندما رأيتها مندهشة .. أعتقد أن مصطلح (الدهشة) أو (الذهول) أو أى مترادفات أخرى تصلح لوصف تعبيرات وجهى الآن .

سألت حماتى السؤال الذى يعصف بعقلى :

ـ ما الذى أخبرك به (أسامة) بالضبط ؟

* * *

قال (أسامة) لعمته عبر الهاتف :

ـ أنا أعلم من الذى صدم (نادين) بسيارته .

ـ أليست (شذا) المريضة التى ..

قاطعها قائلاً :

ـ لا .. هل هذا ما أخبروك به ؟

ـ نعم .. أليست هى ؟

ـ لا .. ولكن الذى صدمتها مريضة أخرى .. عند خطيبها .

ـ من ؟

ـ (ماجدة) .

ـ تلك التى ..

ـ نعم .. تلك التى زارتها فى المستشفى .. لقد ادعت أنها جاءت من أجل د . (ياسين) ولكنها جاءت لتطمئن على ضحيتها .. على (نادين) .. وتعرف : « هل ماتت أم لا ؟ وهل ذكرت اسمها فى التحقيق أم لا ؟.... » إلخ .

ـ وهل (نادين) تعلم ؟

ـ لا أعلم .. ولكن د . (ياسين) يعلم بالتأكيد

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كيف عرفت ؟

ـ لقد قابلتهما على سلم المستشفى .. هو و (ماجدة) .. كانا يتحدثان فى الأمر .

ـ د . (ياسين) كان يعلم ولم يبلغ عنها .

ـ إنها مريضة عنده أو هذا ما نعلمه عنها على الأقل .

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ أنا لا أعلم شيئًا ولكنى أعتقد أن العلاقة بينهما أكثر من علاقة طبيب ومريضة .

ـ هل تعنى أنها ... ؟

ـ احتمال .. وقد يكون هذا هو السبب الذى جعلها تصدم ابنتك بسيارتها .. لأنها تغير منها لكونها خطيبة د . (ياسين) .

ـ و د . (ياسين) ... ؟

ـ أعتقد أنه يحبها .. ولذلك أخفى الحقيقة لأنه لا يريدها أن تدخل السجن .

* * *

قالت حماتى :

ـ لقد أخبرنى (أسامة) أن (ماجدة) هى التى صدمـ ... معقول ! .. أنت ! .. أنت ! .. أنت يا دكتور !

ذلك الثعلب الذى يدعى (أسامة شوكت) .. لم يخبر عمته بالسر .. بل ألصق التهمة فى السيدة (ماجدة) وهو يعلم جيدًا أن خطيبتى وحماتى لا يطيقانها .

(أسامة) لم يكشف السر .. بل أنا الذى كشفته .. لقد وقعت بلسانى و نطقت السر .

هل كان (أسامة) يتوقع أنى سأفعل ذلك ؟!

ما زالت حماتى مذهولة وتقول بلا توقف :

ـ أنت ! .. أنت ! .. أنت !

حماتى كانت غاضبة جدًا من فكرة أن مريضة عندى ـ وأعنى (شذا) ـ هى التى صدمت ابنتها بسيارتها .. وكانت تنوى فسخ الخطوبة لكى تجنب ابنتها المشاكل و المخاطر .

ازداد الوضع سوءًا عندما علمت أن السيدة (ماجدة) هى الفاعلة .

www.dvd4arab.com

الآن علمت أن خطيب ابنتها هو الفاعل .. آخر شيء يمكن تصوره .. بل آخر شيء يمكن تحمله .

لقد لعبها (أسامة) بمهارة .. لقد استخدم الورقة الرابحة فى الوقت المناسب وبذكاء شديد .. خدع حماتى بورقة أخرى فجعلنى أكشف الورقة بنفسى .

توقفت حماتى أخيرًا عن تكرار كلمة (أنت) ليطمئن قلبى أنها ليست حالة نفسية ستستمر معها مدى الحياة .

قالت بغضب :

ـ لقد تحدثت معك من قبل عن حياة ابنتى وعن قلقى الشديد عليها .. وعن المخاطر الكثيرة التى تتعرض لها بسبب مرضاك .. ولكن ..

آه من كلمة (لكن) .. يأتى بعدها السيئ دائمًا .. بل الأسوأ .

تابعت حماتى حديثها .. بعد توقفها للحظات عند كلمة (لكن) ..

ـ .. أن يأتى الخطر منك أنت .. أن تكون أنت الجانى .. هذا لن أتحمله أبدًا .

ـ ولكن ..

حاولت أن أقول بعد (لكن) شيئًا جميلاً .. لطيفًا .. لأغير قاعدة (لكن) الأزلية .

لكنى لم أستطع أن أقول شيئًا جميلاً أو لطيفًا .. لم أستطع النطق بحرف .

ـ د . (ياسين) .. ما فعلته لا يمكن السكوت عليه .

حاولت الدفاع عن نفسى قائلا :

ـ لا أقصد هذا .. أنت تعلمين مقدار حبى لها .. أنا مستعد للتضحية بحياتى من أجل إسعادها .

قالت حماتى بقسوة :

ـ هذا الحديث لا يمكن أن يقنعنى الآن .. حياتها ـ التى تتحدث عنها ـ كانت ستنتهى على يديك .. وفر كلماتك لمرضاك .. لا أريد سماع كلمة أخرى منك .

ـ ولكن .. دعينى أ..

فوجئت بحماتى تتجه لأميرتى وتقول لى :

ـ لا تكمل .. واسمعنى جيدًا .

نظرت إليها .. كانت تحاول انتزاع الدمية من بين أصابع خطيبتى .

Looloo

فقلت بقلق :

ـ ما الذى تفعلينه ؟

نظرت لخطيبتى .. رأيت دموعها الغالية تنهمر من عينيها بلا توقف .. كانت تتألم مما يحدث أمامها .. لم تستطع التفوه بكلمة من بين شفتيها .. فتفوهت عيناها بالدموع لتستجدى والدتها .

كانت أميرتى تقبض يدها بقوة لتمنع أمها من انتزاع الدبلة .. ولكن أمها لم تستسلم وحاولت بإصرار شديد فرد يدها .

فى النهاية استطاعت حماتى انتزاع الرباط الذهبى الذى يربطنى بـ (نادين) ثم قالت :

ـ د . (ياسين) .. ها هى الدبلة .. (نادين) لم تعد خطيبتك بعد الآن .

ومدت يدها لى بالدبلة ثم تركتها .. ففتحت يدى بسرعة حتى لا تسقط على الأرض ويسقط معها قلبى .

احتضنت الدبلة بقبضة يدى .. لأشعر بدفء إصبع نادين الذى كان يحملها منذ ثوان معدودة .

قالت حماتى بلهجة حاسمة وهى تشير بإصبعها نحو الباب :

ـ ولا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى .. تفضل .

كانت تطردنى .

ماذا أقول ؟ .. ماذا أفعل ؟

كنت حائرًا ..

هل أدافع عن جريمتى ضد الملاك البرىء ؟ أم أحاول إقناع حماتى بإعادة الدبلة إلى إصبع خطيبتى ؟ أم أحاول تهدئتها وإقناعها بالاستماع إلىّ وعدم طردى ؟

رأيت حماتى تتجه نحو الباب ثم تفتحه وتقول بلهجة حادة :

ـ تفضل .

للمرة الثانية تقولها ..

كانت تطردنى ..

ليس فقط من بيتها .. بل من حياتهما .. كانت تطردنى من حياة حبيبتى .. كانت تطردنى من مستقبل ملىء بالحب و الدفء والسعادة و الأمل .. كانت تطردنى من حلم جميل عشته وأردت أن أعيشه للأبد .

لا .. لن أستسلم بهذه السهولة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لن أخرج من هنا .. لن أخرج من حياتهما ..

ربما لو خرجت الآن لا أستطيع العودة مرة أخرى .

قلت لحماتى .. أو حاولت القول بأننى ..

ـ آسف على ما ....

هذا ما قلته بالضبط .. لأنها قاطعتنى قائلة وهى تفسح مجالاً للخروج :

ـ لا أريد سماع حرف واحد .. تفضل .

كانت تطردنى مرة أخرى .. تطردنى بطريقة مهذبة .. تقول لى تفضل ..

ولكنى لن أتفضل ..

حبى أقوى من كرامتى .. سأبقى وسأدافع عن نفسى و سأدافع عن حبى .

قالت حماتى :

ـ لو بقيت لحظة أخرى هنا .. سوف أبلغ الشرطة عنك وأخبرهم أنك الذى صدمت ابنتى بسيارتك .

أعتقد أن فكرة البقاء لثانية أخرى فكرة خاطئة جدًا .. سوف

أحاول إقناع حماتى فى وقت آخر .

واتجهت نحو الباب دون أن أنظر إلى (نادين) حتى لا ألمح دموعها الغالية .

سوف أعود يا حبيبتى ..

سوف أعود وأقنع والدتك .

وكأن والدتها سمعت خواطرى لابنتها .. وجدتها تقول :

ـ إياك أن تأتى هنا وإلا سأبلغ الشرطة .. لو كنت تريد الحفاظ على مستقبلك وسمعتك فابتعد عن طريق ابنتى .. لا تحاول مقابلتها أو التحدث معها .

ثم صفقت الباب فور خروجى مباشرة .

يبدو أننى فقدت (نادين) ..

للأبد .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

3 ـ الشـارة ..

المكان : عيادتى

كنت أفكر فيما حدث وكيفية إصلاح ما قد تكسر .. أفكر فى (نادين) .. هل سأستطيع العودة إليها من جديد ؟ أم إن تلك المرة هى آخر مرة أراها فيها ؟

اتجهت إلى الشيزلونج .. واسترخيت فوقه كالمرضى الذين يأتون إلىّ .. أنا الآن مريض مثلهم .. وددت لو أجد أحدًا أحكى له مشكلتى لعله يجد لها حلاً .. وددت لو أجد أحدًا يستمع لى ويشاركنى همومى .. وددت لو أجد طبيبًا نفسيًا .

يا لسخرية القدر .

طبيب نفسى يحتاج إلى طبيب نفسى .

طردت هذه الخواطر من رأسى عندما سمعت طرقات على باب الحجرة .. ثم سمعت بعد ذلك صوت (وائل) الممرض :

ـ د . (ياسين) .

نهضت من الشيزلونج بسرعة واتجهت إلى مكتبى وأنا أقول :

ـ ادخل .

فتح (وائل) الباب وأطل برأسه يقول :

ـ هل أدخل المرضى الآن ؟

ـ كم واحدًا عندك ؟

ـ خمسة .

ـ حسنًا .. أدخل أول مريض .

ـ الآنسة (سهير) .

ـ حسنًا .. أدخلها .

بعد قليل .. دخلت الآنسة (سهير) .. أغلقت الباب وراءها ثم اتجهت إلى مكتبى مادة يدها بترحاب قائلة :

ـ أهلاً د . (ياسين) .

مددت يدى وقلت :

ـ أهلاً .

فوجئت بها ترفع يدها بسرعة قبل أن تسلم .. وتلوح بسبابتها نحو وجهى قائلة :

ـ هل تقابلنا من قبل ؟

يبدو أنها لم تنتبه إلى يدى المعلقة فى الهواء استعدادًا للتسليم

Looloo

عليها .. قلت باقتضاب :

ـ أعتقد لا .

وانتظرت أن تمد يدها من جديد لتسلم علىّ .. لكنها قالت :

ـ هل أنت متأكد ؟

نظرت فى وجهها جيدًا .. نعم .. هذا الوجه أراه لأول مرة فى حياتى .. قلت لها :

ـ نعم .. متأكد .

أخيرًا انتبهت ليدى الممدودة .. فمدت يدها على الفور وقالت :

ـ أهلاً يا دكتور .. آسفة لم أنتبه .

سلمت علىّ .. ثم انتظرت أن تترك يدى .. لكنها لم تتركها ..

كانت شاردة .. تجول بنظرها فى أنحاء الحجرة .. قمت بفرد أصابعى لأبين لها أننى انتهيت من التسليم ولكنها كانت لا تزال ضاغطة على أصابعى ولا تريد أن تفلت يدى .. كانت تتأمل كل شىء حولها .. الجدران .. الأرضية .. السقف .. الشيزلونج .. المكتب .. كل شىء .

قالت :

ـ أشعر أننى كنت هنا من قبل .. المكان يبدو مألوفًا لى .

قلت لها وأنا مازلت أحاول انتزاع يدى من يدها بطريقة ودية هادئة :

ـ لا أعتقد أنك جئت عيادتى من قبل .

عادت تتأمل الحجرة من جديد وتقول بغموض :

ـ هل أنت متأكد ؟ تذكر يا دكتور .. حاول .

لم أحاول التذكر .. لكنى كنت أحاول تخليص يدى من يدها بطريقة مهذبة .. قلت بعد عدة محاولات :

ـ هل يمكننى استرداد يدى من فضلك ؟

انتبهت أخيرًا للموقف .. فتركت يدى على الفور .. حررتها أخيرًا .. قالت :

ـ آسفة يا دكتور .. لم أنتبه .

لم تنتبه ليدى وهى ممدودة لها .. ثم لم تنتبه ليدى وهى تحاول أن تتحرر من قبضة يدها .. يبدو أنها تعانى من الشرود الذهنى .

قلت لها :

ـ تفضلى .. على الشيزلونج .

Looloo
www.dvd4arab.com

بعد استرخائها .. سألتها :

ـ آنسة (سهير) .. أليس كذلك ؟

فرحت جداً بما قلته وصفقت بسعادة وقالت :

ـ أخيرًا تذكرتنى .. كنت متأكدة أننا تقابلنا من قبل .. أخبرنى إذن متى وأين .. أعتقد هنا .. أليس كذلك ؟ .. أم فى حديقة الـ ...

قاطعتها قائلاً بابتسامة هادئة :

ـ لم نتقابل من قبل .. مازلت أؤكد لك .. أما بالنسبة لاسمك فقد عرفته من الممرض .. أنت أخبرته به وهو أخبرنى به .

ظهرت خيبة الأمل على وجهها .. فقلت لها :

ـ آنسة (سهير) .. مم تشتكين بالضبط ؟

أطلقت زفيرًا طويلاً ثم قالت :

ـ هل أنت متأكد أننا لم نلتق من قبل ؟

يبدو أنها كانت شاردة فلم تنتبه لسؤالى .. تجاهلت سؤالها المكرر وكررت سؤالى لها وأتمنى أن تنتبه له هذه المرة :

ـ ما هى مشكلتك بالضبط ؟

ـ هذه هى مشكلتى يا دكتور .

قلت وأنا أحلل بذهنى تصرفاتها منذ دخولها الحجرة :

ـ هل مشكلتك تتعلق بالشرود والتشتت الذهنى وعدم التركيز .

قاطعتنى قائلة :

ـ لا .. لا .. لا .. لماذا تقول هذا ؟

ثم شردت بذهنها بعيدًا مرة أخرى .. شعرت أنها فى واد آخر .. لم أعلق ولم أرد على سؤالها .

ثم عادت من شرودها لتقول :

ـ إن مشكلتى يا دكتور هى ..

أخذت نفسًا عميقًا وأطلقته ، ثم قالت :

ـ أحيانًا أرى أشياء أشعر أنى رأيتها من قبل .. حتى لو كنت أراها للمرة الأولى .. أدخل أماكن لأول مرة فأشعر أنى دخلتها من قبل .. أرى أناسًا لأول مرة فأشعر أنى رأيتهم من قبل .. وهذا الأمر يثير جنونى .. كيف أزور أماكن لأول مرة وأرى أشياء لأول مرة فى نفس الوقت أشعر أنى زرت هذه الأماكن من قبل ورأيت هذه الأشياء من قبل ؟ .. مثلاً : عندما دخلت عيادتك اليوم .. أنا متأكدة أننى لم أدخل عيادتك من قبل .. ولا حتى هذه العمارة التى

Looloo www.vedabooks.com

بها عيادتك و مع ذلك عندما دخلتها شعرت أنى دخلتها من قبل .. وأيضًا عندما رأيتك .. شعرت أننا تقابلنا من قبل ولهذا كنت أتمنى أن تقول « نعم .. تقابلنا » حتى لا أشعر أنى مجنونة .. ولكن يبدو أنى مجنونة بالفعل لأنك مُصر على أننا لم نتقابل من قبل ..

ابتسمت وقلت :

ـ أنت لست مجنونة .. أنت طبيعية .

ظهرت ابتسامة سعادة على شفتيها ورقصت الفرحة فى عينيها وقالت :

ـ ما هذا ؟! هل تعنى أننا قد تقابلنا من قبل ؟

* * *

4 ـ ديجاڤو ..

قلت لها بهدوء محاولاً بقدر الإمكان عدم سلبها فرحتها :

ـ لا .. لم أقصد هذا .. ما كنت أعنيه هو أن حالتك طبيعية .. هذه الظاهرة شائعة حيث ...

قاطعتنى قائلة :

ـ ظاهرة !

قلت لها باقتضاب :

ـ ديجا ڤو (Déjà vu) .

ظهر الذعر على وجهها وضربت صدرها بيدها وقالت منزعجة :

ـ ما هذا ؟ .. مرض عقلى ؟

قلت بسرعة :

ـ لا .. لا .. لا تقلقى .

ـ حسنًا .. ما هذا الـ (تيشافووو) ؟

ـ ليس (تيشافووو) .. بل (ديجا ڤو) .. والـ (ديجا ڤو)

Looloo
www.dvd4arab.com

ظاهرة تشعرين فيها أنك قد رأيت نفس الأشياء من قبل .. رأيت نفس الأشخاص من قبل .. دار نفس الحوار من قبل .. إن لفظة ديجا فو (Déjà vu) لفظة فرنسية تعنى (شوهد من قبل) وهى ظاهرة تحدث لكثير من الناس .. تحدث بنسبة 70 % من البشر ممن هم بين الـ 17 إلى الـ 25 من أعمارهم .

ابتسمت قائلة :

ـ نعم .. أنا مازلت فى هذا السن .

ضحكت من تعليقها الأنثوى .. ثم أكملت :

ـ والـ (ديجا فو) ثلاثة أنواع هى : (Déjà vécu) و تعنى « تم رؤيته من قبل » .. و (Déjà senti) وتعنى (تم الشعور به من قبل) و ... (Déjà visité) و تعنى (تم زيارته من قبل) .. مثلما حدث معك اليوم وشعرت أنك جئت العيادة من قبل .

ـ وما هى أسباب حدوثها ؟

ـ هناك تفسيرات عديدة .. هناك من يرى أنها رغبة قوية لتكرار تجربة ماضية .. وهناك من يرى أنها تنتج عن تأخر وصول الدم

لأحد الفصين الصدغيين بالمخ .. فعندما تتعاملى مع موقف ما يتم نقل المعلومات إلى صدغى المخ الأيمن والأيسر ويحدث أحيانًا أن تصل المعلومة إلى الصدغ الأيمن قبل الأيسر فتكون بالنسبة لهذا الجزء من المخ حاضرًا قد وقع .. بينما يجدها الجزء الآخر من المخ غيبًا لم يقع بعد .. وهناك من يفسر الظاهرة على أنها رؤية ثانية لأحلامنا .. أى أننا مررنا بهذا الموقف من قبل و لكن فى أحلامنا .. وقد نخمن ما سيحدث بعد ذلك بسبب رؤيتنا له من قبل ولهذا يرى البعض أنها ظاهرة ميتافيزيقية .. تنبئنا بأشياء ستحدث لنا فى المستقبل .

التقطت نفس عميق ثم أكملت :

ـ وهناك ظاهرة معاكسة للديجا فو .. وهى ظاهرة (Jamais Vu) وتعنى لم أره أبدًا .. حيث تدخلين مكانًا مألوفًا بالنسبة لك وتشعرين أنه غريب .. تجلسين مع أحد أصدقائك أو أفراد عائلتك ولوهلة تشعرين كأنك لم تريه من قبل وكأنه شخص غريب عنك .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا .. لم أشعر بهذا من قبل .. إن مشكلتى فى (الديشا فوو) فقط .

ـ تقصدين الـ (ديجا فو) .

ـ ما يهمنى هو أن هذا أمر عادى .. أليس كذلك ؟

ـ اطمئنى .. كلنا نمر بهذه التجربة .

ـ هل مررت بها يا دكتور ؟

ـ كثيرًا .. ولقد مررت بها اليوم .

ـ كيف ؟

ضحكت قائلاً :

ـ لقد أتيت اليوم لتتحدثى وأستمع لك .. لا لتستمعى لى .

ـ مجرد فضول ليس إلا .

وجدت نفسى أخبرها قائلاً :

ـ لقد فسخت خطوبتى اليوم .

ظهر عليها الحزن .. وقبل أن تنطق بكلمة لمواساتى تابعت قائلاً :

ـ فشعرت أننى مررت بهذا الموقف من قبل .. وأنا بالفعل مررت بهذا الموقف من قبل .. لقد فسخت خطوبتى مرات عديدة .. لذا لا أعتبر ما مررت به (ديجا فو) .

قالت مندهشة :

ـ مرات عديدة !

ـ ومن نفس الفتاة .

ـ كيف ؟ أخبرنى .

ـ لا .. هذه قصة طويلة .

ـ أخبرنى عن آخر مرة فقط .

فوجئت بنفسى من جديد أتحدث إليها عنى وأفضفض .. هذه ليست عادتى .. لم أتعود أن أتحدث مع مرضاى فى شئونى الخاصة ولكن .. ربما كان السبب هو احتياجى الشديد إلى شخص أحكى له .. فلم لا يكون هذا الشخص مريضًا عندى ؟ .. خاصة أنى أجدها ـ حتى هذه اللحظة ـ شابة عاقلة متزنة يمكنها إفادتى لو عرضت عليها مشكلتى .. وهكذا حكيت لها ما حدث

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ « صدمت خطيبتك »

قالتها الآنسة (سهير) للمرة السادسة وعادت تضحك من جديد .. وكأنها تكررها لكى تضحك نفسها .. مثلما نكرر نكتة أعجبتنا .

انتظرت انتهاء الفقرة الضاحكة وسألتها :

ـ حسنًا .. ما رأيك ؟ ماذا أفعل ؟

قالت لى وهى تبتسم ابتسامة عريضة :

ـ إنه لشرف كبير أن تسألنى يا دكتور عن حل لمشكلتك .. وأنا على وعدى لك بألا أخبر أحدًا بما عرفته منك اليوم .. أما بالنسبة لحل المشكلة أعتقد أنه يتلخص فى كلمة واحدة .. وسيط .

ـ وسيط !

ـ نعم .. شخص تثق فيه يتحدث بالنيابة عنك إلى والدتها ليهدئ الأمور ويعيد المياه إلى مجاريها .

كان حلاً سهلاً وعبقريًا .. كيف لم يخطر ببالى من قبل ؟!

ولكن من ؟ من سيكون الوسيط ؟

وجاءتنى الفكرة المجنونة واخترت شخصًا بعينه ليكون الوسيط ..

آخر شخص يمكنك تخيله .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

5 - الوسيط ..

قالت الآنسة (سهير) :

- هناك مشكلة أخرى أعانى منها وهى ....

قاطعتها قائلاً :

- حسنًا .. فلنؤجل الحديث عنها للغد .. فى الساعة الخامسة .

- ولماذا التأجيل ؟

- لأنى أريد الانصراف الآن .. هناك مهمة لابد أن أقوم بها على وجه السرعة .

ابتسمت قائلة بذكاء :

- الوسيط ؟

- نعم .

- حسنًا .. بالتوفيق يا دكتور .. وفى الجلسة القادمة سأخبرك بمشكلتى مع صديقتى التى تريد أن ...

شعرت أنها تستعد لسرد مشكلتها فقاطعتها قائلاً :

- فلنؤجل الحديث عنها للغد .. فى الساعة الخامسة .

قالت منزعجة :

- دكتور .. أنا أشعر أنى سمعت هذا الحوار من قبل .. هل هذا هو (التشافاجو) ؟

ضحكت قائلاً :

- لا .. ليست (ديجا فو) .. أنا قلت الجملة نفسها مرتين الآن .

بعد انصراف الآنسة (سهير) .. خرجت على الفور لأعتذر لبقية المرضى وحددت لهم مواعيد أخرى .. ثم خرجت من العيادة منطلقًا إلى منزل الوسيط .

إلى منزل (أسامة) .

* * *

كان الحل الذى اقترحته الآنسة (سهير) حلاً جميلاً .. لابد أن يكون هناك وسيط بينى وبين أم (نادين) لأنها لن تطيق سماع كلمة واحدة منى .

ولكن من هو الشخص الذى يمكن أن يتحدث إليها وتستمع له ؟ لم أجد أمامى سوى (أسامة) .

اخترت آخر شخص يمكننى اختياره لهذه المهمة .. فأنا أعلم جيدًا أنه آخر شخص يمكن أن يفكر فى خير من أجلى .. وآخر

www.dvd4arab.com

شخص يتمنى عودتى لـ (نادين) .. ولكنه الشخص الوحيد الذى يمكن أن تستمع له حماتى ..

ولكن كيف أقنعه بالتوسط لى عندها ؟ كيف أجبره على ذلك ؟ وكيف أقنع نفسى أنه سوف يفعل ذلك بالفعل ؟

ذهبت إلى شقته .. كنت أعرف العنوان جيدًا .

فتح لى الباب وبمجرد أن رآنى ظهرت تعبيرات كثيرة على وجهـه .. ليست من بينها السعادة ومترادفاتها .. وهذا شىء متوقع جدًا .

حاول أن يرسم ابتسامة ترحاب على شفتيه ولكنه فشل فى ذلك ..

حاول مجددًا ولكن يبدو أن الأمر أصعب مما كان يتصور .. ولكنه كان مُصرًا على محاولة الابتسام فى وجهى .. لدرجة أنى خشيت أن يرفع يده ليضع إصبعيه عند طرفى فمه ليفتحه من أجل الابتسامة المطلوبة .

قال محاولاً ألا يخطئ لسانه ويعبر عن مكنون صدره :

- مرحبـــاااااااااا .. تفضل يا دكتووووور .

قالها بصوت عالٍ ليخفى ضيقه من زيارتى .

أعلم جيدًا أنه لا يود إدخالى شقته .. وإذا أراد ذلك فربما يريده من أجل طردى منها .. فكيف تطرد شخصًا من شقتك وهو لم يدخلها بعد ؟!

دخلت على الفور إلى شقته قبل أن يغير رأيه ويقول مثلاً « أنا مشغول الآن .. حاول الزيارة فى وقت لاحق » .

تأملت الشقة .. كانت واسعة للغاية .. مليئة بالتحف الثمينة .. يبدو أن لديه ذوقًا رفيعًا راقيًا رغم كل شىء .

ومن الملاحظ أنه يتعمد إظهار ثرائه بهذه التحف والصور الثمينة والأثاث الفاخر .. أعتقد أنه كان يخطط لزيارة (نادين) له هنا لكى يبهرها بثرائه ويقول لها بلهجة خبيثة بالتأكيد خطيبك الدكتور يمكن أن يحضر لك كل هذا وأكثر ... بعد عشرات السنين .

لاحظت أيضًا أن صوره منتشرة فى كل مكان .. صور كبيرة وصغيرة (وكأنى أقف فى حرب انتخابية وهو المرشح الوحيد) .. يبدو أنه معجب بنفســه جدًا .. نرجسى narcissist .. ويشبع نرجسيته بأمواله .

Looloo
www.dvd4arab.com

سألته باهتمام :

- ماذا تعمل بالخارج ؟

يبدو أنه يجنى الكثير من هذا العمل .. لم أقل أننى أريد ترك مهنة الطب والعمل فى نفس مجال عمله .. ولكنه الفضول .. لا أكثر ولا أقل .

قال بهدوء :

- هل نسيت ؟

لم أرد .. فابتسم و قال :

- رجل أعمال .

ثم أشار بيده إلى أثاث شقته وقال متفاخرًا :

- وأجنى الكثير من هذا العمل .. إن العمل بالخارج مربح جدًا لو أنك تريد أن ..

يبدو أنه يريد التلميح لى من جديد بوجود فرص عمل ممتازة لى بالخارج .

قاطعته قائلاً بابتسامة صفراء :

- هذا ليس الموضوع الذى جئتك من أجله .

- حسنًا .. تفضل بالجلوس أولاً .. وبعدها نتحدث .

جلست فقال لى :

- ماذا تشرب ؟ هنا عصير طازج .. أم إنك من البشر الذين يفضلون القهوة والشاى والـ ...

- لا تشغل نفسك .. فقط اجلس .. أريد التحدث معك .

قال بإصرار :

- ولكن لابد أن تشرب شيئ ...

قاطعته وقد نفد صبرى :

- من فضلك اجلس .

اتخذ مقعدًا على الفور وجلس أمامى وقال بهدوء الثعابين :

- ما الأمر ؟ .. تبدو حزينًا .. خيرًا يا دكتور .

قلت له وأنا أنظر فى عينيه :

- لماذا كشفت السر ؟

تراجع للوراء وابتسم ابتسامة خفيفة جدًا .. لا يمكنك أن تراها بالعين المجردة .. ثم قال بخبث :

- أى سر ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا داعى من هذا الأسلوب .. أنت تعلم جيدًا ما الذى أتحدث عنه .

انتظر قليلاً كأنه يفكر فى الأمر ويحاول البحث فى ذاكرته عن السر الذى أتحدث عنه .. ثم قال وكأنه تذكره فى هذه اللحظة بالضبط :

ـ آه .. السر .. أتقصد محاولة قتلك (نادين) ؟

تمالكت نفسى وقلت ضاغطًا على أسنانى :

ـ أنا لم أحاول قتلها .. أنا صدمتها بسيارتى فقط .. ولكنى لم أكن أحاول قتلها .

ضحك ضحكة شيطانية وقال :

ـ وماذا لو أنها ماتت ؟ .. هل كنت ستخبر الشرطة أنك لم تقتلها .. فقط صدمتها بسيارتك ؟

التقطت نفسًا عميقًا وقلت :

ـ هل تريدنى أن أسلم نفسى للشرطة ؟

شعرت أنه فرح جدًا بسؤالى وأنه كان يود الإجابة بنعم تأييدًا للفكرة .. ولكنه تراجع فى اللحظة الأخيرة وقال بهدوء شديد :

ـ افعل ما يحلو لك يا دكتور .. لا يهمنى هذا الأمر فى شىء .. ما الذى سأستفيده إذا فعلت أو لم تفعل ؟

ـ حسنًا .. وما الذى استفدته من كشف السر ؟

قال محتجًا :

ـ لحظة .. أنا لم أكشف السر يا دكتور .

تذكرت ما حدث .. نعم .. هو لم يكشف السر .. ولكنه دفعنى لكشفه .. فقلت :

ـ لقد أبلغت عمتك بأن السيدة (ماجدة) هى التى صدمت (نادين) بسيارتها .

ابتسم و قال :

ـ أرأيت ؟! .. أنا لم أكشف السر .. لقد وعدتك بعدم كشفه ومازلت على وعدى .. ولو أن هناك أحدًا كشف السر فبالتأكيد ليس أنا .

يبدو أن عمته أخبرته بما حدث .. فقلت له :

ـ من الواضح أن الأخبار تصلك بسرعة .

ابتسم ابتسامة خبيثة وقال :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنت الذى كشفت السر .. أنا لم أفعل شيئًا .

ـ بل فعلت .. لقد ادعيت كذبًا على مريضة عندى .. وبالتأكيد أثرت الشك عند عمتك ناحيتى .. وانتظرت أن تنكشف الحقيقة تدريجيًا .

صمت (أسامة) .. أخيرًا صمت .. لم يستطع الدفاع عن نفسه أكثر من ذلك .

ـ (أسامة) .. أخبرنى بصراحة .. لماذا فعلت ذلك ؟

قال .. ولأول مرة أشعر أنه يتكلم بصراحة شديدة :

ـ كنت مغتاظًا أنك منعت (نادين) ابنة عمتى من زيارتى ومن التحدث إلىّ .. فأردت أن أضايقك فقلت ما قلته دون وعى .

توقف قليلاً ثم قال :

ـ (نادين) بمثابة أختى .. كنا نلعب معًا و نحن صغيران .. كبرنا معًا .. كانت لنا ذكريات طفولة بريئة معًا .

ثم نظر لى وقال :

ـ لماذا تريد أن تحرمنى من التحدث إليها .. والاطمئنان عليها ؟ إنها أختى .. هل تريد أن تحرم الأخ من التحدث إلى أخته ؟

أراد أن يستعطفنى بكلماته البريئة .. ولكن ما قاله دخل من أذن وخرج من الأذن الأخرى .. قلت له :

ـ يا (أسامة) .. (نادين) ليست أختك .. لقد تقدمت لخطبتها وأردت الزواج منها .

قال معترضًا :

ـ د . (ياسين) .. يجب أن تنسى هذا الماضى .. (نادين) خطيبتك وتحبك وسوف تتزوجان إن شاء الله .. وسأبارك لكما زواجكما وسوف أرقص فى فرحكما .. أم إنك ستمنعنى من حضور الفرح ؟

ـ أى فرح ؟! .. ألم تبلغك عمتك أنها فسخت الخطوبة ؟ .. (نادين) لم تعد خطيبتى .

قال متصنعًا التأثر بالخبر .. راسمًا الحزن على وجهه بفرشاة قذرة وألوان زائفة :

ـ للأسف يا دكتور .

قلت وأنا أحاول منع نفسى من خنقه :

ـ وأنت السبب يا (أسامة) .

Loolo
www.dvd4arab.com

ـ أنا ! .. أنا ! .. هل أنا الذى صدمتها بسيارتى ؟!

تمالكت أعصابى وقلت :

ـ هل سنعود إلى الحديث فى هذه النقطة مرة أخرى ؟

نهض (أسامة) من مقعده وقال :

ـ ما الذى تريده منى بالضبط ؟ لماذا شرفتنى بزيارتك اليوم يا دكتور ؟

قلت له وأنا أنظر فى وجهه لأرى رد فعله :

ـ لقد جئتك اليوم لتتوسط لى عند حماتى .

ضحك وقال مندهشًا :

ـ أنا ؟! .. كيف ؟ لماذا ؟

ـ نعم أنت .. لأنك السبب فى هذه الورطة ويجب أن تصلح ما أفسدته .. ولأنك الوحيد الذى ستنصت له حماتى باهتمام .

ـ حسنًا .. وما الذى جعلك واثقًا أننى سأقبل القيام بدور الوسيط ؟

ـ ولم لا ؟

ـ هل تعتقد أننى سأتوسط لك بعد أن منعت ابنة عمتى من

التحدث إلىّ ؟

قلت محاولاً كشف أوراقه ومواجهته :

ـ أنا أعلم نواياك جيدًا يا (أسامة) .. لقد فعلت هذا لتبعدنى عن (نادين) .. وبعد فسخ الخطوبة تتقدم من جديد إليها .. وبالطبع حماتى ستوافق على الفور .

صاح غاضبًا :

ـ د . (ياسين) .. أنا لم أخطط لشىء .. أنا لم أطلب منك أن تصدم (نادين) بسيارتك .. أنا لم أطلب منك أن تعرض حياتها للخطر .. مرة من مجنون يطاردها .. ومرة أخرى من قاتل محترف (*) .. والله أعلم هل هناك أشياء أخرى أم لا .. لذا لو أنك لاحظت معى فأنت الذى تسببت فى إلحاق الأذى بـ (نادين) .. وليس أنا .. أنا لم أخطط لشىء .. أنت فعلت كل هذا وحدك .

لم أجد شيئًا أقوله .. لم أجد شيئًا أدافع به عن نفسى .. لقد ظلمت (نادين) معى كثيرًا .. تسببت لها بأضرار كثيرة دون قصد منى .. أقحمتها فى مشاكلى .. عرضت حياتها للخطر .. ولكنى لا

(*) راجع الأعداد السابقة : حالة الحاسة السادسة وحالة بارانويا

www.dvd4arab.com

أريد إيذاءها أبدًا .. أنا أحبها .. أحبها جدًا .. وأريدها أن تشاركنى رحلة عمرى .. أريد أن أتزوجها .. ولكن كيف ؟ لا أعلم .. ولكنى سأفعل المستحيل فى سبيل ذلك .. قلت له بلهجة هادئة :

ـ (أسامة) .. أريدك أن تصلح الأمور بينى وبين حماتى .. أريدك أن تتحدث معها عنى بصورة حسنة .. أريدك أن تقنعها أننى أفضل زوج لابنتها .. هذا هو طلبى الوحيد منك .. فهل ستساعدنى ؟

ـ نعم .

ـ أرجوك .

قال وهو يبتسم :

ـ لقد قلت نعم .

ـ لم أنتبه .. بصراحة لم أتوقع أن توافق بهذه السرعة .

ـ معك حق .. فأنا لم أكن أريد مساعدتك لأنى مازلت متضايقًا جدًا بسبب الطريقة التى عاملتنى بها منذ وصولى مصر والقرارات التى أصدرتها تجاهى وطالبت (نادين) بتنفيذها .

لم أرد أن أذكره بأفعاله معى .. والصور التى التقطها لى ليوقع

بينى وبين خطيبتى(*) .. لا داعى من ذكر ذلك الآن .. لقد وافق على مساعدتى وانتهى الأمر .

سألته بفضول :

ـ ولماذا وافقت الآن ؟

ـ لأثبت لك أننى لا أفكر فى الزواج من (نادين) .. ولأثبت لك أننى أريدكما أن تتزوجا .. لذا سأساعدك لأثبت لك حسن نواياى .

ـ أشكرك يا (أسامة) .. من الواضح أنك رجل نبيل .

أتمنى من كل قلبى أن يصدق فيما قاله .

نهضت من مكانى وتأهبت للانصراف فقال (أسامة) لى :

ـ مهلاً .. أنت لم تشرب شيئًا بعد .

ابتسمت قائلاً :

ـ سوف نشرب الشربات فى شقة عمتك إن شاء الله .. بعدما تساعدنى وتصلح الأمور بينى و بينها .. وسوف نشرب الشربات معًا .. أنا وأنت وعمتك و (نادين) .

قصدت قول ذلك لأبين له أننى لم أعد قلقًا على (نادين) منه ..

(*) راجع (حالة الفراشة السوداء)

www.dvd4arab.com

لمحت الابتسامة تطل من شفتيه وهو يقول :

ـ سنشرب الشربات يومها إن شاء الله .. أما الآن فلابد أن تشرب شيئًا .. هل تعتقد أنى بخيل ؟

ـ لا .. لم أقل ذلك .

وجلست ودخل هو إلى المطبخ ليحضر مشروبًا لى ومن مكانه سمعته يسألنى :

ـ هل كنت متأكدًا أننى سأوافق على مساعدتك ؟

حاولت أن أختار كلماتى حتى لا أغضبه فيسحب كلامه .. قلت :

ـ لم أكن متأكدًا ولكنى كنت سأحاول إقناعك .

ـ وماذا لو لم أقتنع ؟ ما الذى كنت ستفعله ؟

قلت لـ (أسامة) بهدوء :

ـ كنت سأهددك .

* * *

مرت لحظات رهيبة من الصمت .. لم يصلنى أى تعليق منه .. يبدو أننى أخطأت فى قول هذه الجملة ..

6 ـ مجرد تهديد ..

أكملت محاولاً تخفيف وطأة الحديث :

ـ كنت سأهددك مثلما كان يفعل (محمود المليجى) فى الأفلام العربية القديمة .

سمعته يقول بهدوء :

ـ كيف ؟ .. هل ستهددنى بالقتل إذا لم أساعدك ؟

ـ لا .. لا .. ليس لهذه الدرجة .

ثم تابعت قائلاً :

ـ هناك أشياء أسوأ من القتل .

كلما حاولت البحث عن كلمات خفيفة لطيفة ظريفة لأبسط الحديث .. أجد نفسى أستخدم مفردات شنيعة فظيعة مريعة تحمل خواطر سوداء .. تابعت قائلاً :

ـ كنت سأهددك بإدخالك مستشفى الأمراض العقلية .

ـ ماذا ؟

ـ نعم .. إذا لم تساعدنى قد أفكر فى إدخالك المستشفى .. ومستشفى المجانين كالسجن .. وربما أسوأ .. ففى السجن يمكنك

Looloo
www.looloo4arab.com

التحدث وسوف يستمعون إليك ويبلغون شكواك للمسئولين .. أما فى المستشفى عندنا لن يستمع أحد إليك وإذا استمع لن يهتم بما تقوله .. سيعتبرك الجميع مجنونًا .. تقول كلامًا بلا معنى .. وقد أضعك فى عنبر الخطرين الذى لا يمكن لأحد الاقتراب منه إلا بتصريح خاص وعليه حراسة مشددة .. أى ببساطة .. ستكون المستشفى كالمعتقل .. إذا دخلته لن تخرج منه أبدًا .. ولن يسمع عنك أحد بعد ذلك .

توقعت خوفه من هذا الحديث المريب لكنى فوجئت به يقول ضاحكًا :

- تهددنى بمستشفى المجانين !! .. إنك بهذه الطريقة تكون (الشاويش عطية) (*) وليس (محمود المليجى) .

خرج لى ومعه المشروب البارد وقدمه لى وقال :

- و لكن .. كيف ستدخلنى مستشفى المجانين وأنا لست مجنونًا ؟

تناولت الكوب وقلت له بلهجة مريبة :

(*) يقصد الفنان (رياض القصبجى) فى فيلم (إسماعيل ياسين فى مستشفى المجانين) .. حيث تخلص من خطيب حبيبته بإدخاله المستشفى .

- يمكننى إدخال أى شخص مستشفى المجانين سواء كان مجنونًا أو لا .

كنت أحاول إخافته بحديثى حتى لا يفكر فى التراجع عن مساعدتى .

ويبدو أننى نجحت .

لذا شربت العصير وأنا سعيد .. كنت على يقين أن (أسامة) سوف يساعدنى .

* * *

عدت إلى شقتى ونمت مطمئنًا مرتاح البال ..

كنت أشعر أن (أسامة) سيساعدنى .. أيًا كانت الأسباب فإنه سيساعدنى .

وسوف أعود لـ (نادين) ..

وتعود السعادة تملأ حياتى من جديد .

وبدأت أشاهد أحلامًا أثناء نومى .. أحلام جميلة لذيذة .. أحلام بطولتى بالاشتراك مع حبيبة قلبى (نادين) .. تأليف : عقلى . وإخراج : قلبى .

Looloo
www.dvd4arab.com

وفجأة انقطعت الأحلام وغابت الصورة وحل محلها صوت الهاتف .

نهضت مسرعًا و ..

ـ آلو

ـ آلو .. (أسامة) ؟

ـ نعم .. كيف حالك يا دكتور ؟

ـ (أسامة) .. لماذا تتصل الآن ؟ هل أستنتج من ذلك أنك ذهبت إلى ..

ـ نعم .. أعتقد أنك مدين لى بهدية كبيرة .

ـ هل أفهم من ذلك أنك ..

ـ هدية كبيرة .. أعنى كبيرة فى الثمن وليس فى الحجم .

اعتصرت السماعة و أنا لا أصدق استنتاجاتى .. قلت له :

ـ هل حماتى وافقت على ...

قاطعنى مجددًا وقال :

ـ ألم تفهم حديثى بعد ؟ أنا أحدثك عن هدية كبيرة .. ما الذى تستنتجه من ذلك ؟

أكاد أحطم السماعة من فرحتى .. قلت :

ـ ألف شكر يا (أسامة) .. لا أعرف ما الذى يمكن أن أقدمه لك من أجل الـ ...

ـ هديتى هى أن تدعونى إلى فرحكما .

ـ بالتأكيد يا (أسامة) .. بالتأكيد .

لا أصدق هذا .. (أسامة) ساعدنى .. سألته :

ـ (أسامة) .. كيف فعلتها ؟ كيف أقنعت عمتك ؟

ـ لا تشغل بالك .. المهم أن (نادين) أصبحت خطيبتك مرة أخرى وحماتك أصبحت راضية عنك تمامًا .

ـ الحمد لله .

ـ ونصيحة منى : تزوج (نادين) بسرعة .. أنا لا أضمن ...

قاطعته قائلا :

ـ لا تضمن عمتك .

ـ لا .. أنا لا أضمنك أنت .. فأنت تفسد خطوبتك بطرق عبقرية وسريعة المفعول .

ـ معك حق .. سوف أتزوجها بسرعة .. ربما غدًا إن شاء الله .

لا أصدق نفسى .. لقد عادت الأمور إلى مجاريها .. لقد

www.dvd4arab.com

فعلها (أسامة) .

فكرت فى الاتصال بأميرتى بعد انتهاء مكالمة (أسامة) و لكنى تراجعت عن الفكرة .. لا أريد إزعاجهم بالاتصال فى هذه الساعة المتأخرة .. يجب أن أتعامل مع حماتى بحذر شديد .. لا أريد إغضابها بأى أمر تافه فتتذكر ما مضى ويأتى الجديد بالقديم .

سوف أتصل بها صباحًا إن شاء الله .

وعدت إلى سريرى لأستكمل نومى وربما أستكمل الأحلام الجميلة التى كنت أشاهدها .. ولكن لم تمر ربع ساعة على نومى حتى استيقظت على صوت مزعج .

لم يكن صوت الهاتف هذه المرة .

كان صوت مذياع عالٍ جدًا .

نهضت من سريرى وتتبعت الصوت .. وجدته صادرًا من الشقة المواجهة لشقتى مباشرة ..

ما أتذكره هو أن هذه الشقة خالية منذ زمن .. ولكن البواب أخبرنى منذ أيام أنه تم تأجيرها ولكنه لم يخبرنى شيئًا عن الساكن الجديد لها .

غيرت ملابسى وخرجت من شقتى لألتقى بالساكن الجديد

7 - جارتى ..

وأتعرف عليه .. وأطلب منه خفض صوت المذياع حتى أستطيع النوم .

طرقت الباب ولكن صوت المذياع كان عاليًا .. لذا طرقت بعنف شديد .. حتى يعلو صوت طرقاتى على صوت المذياع .

شعرت أن الباب على وشك أن يفتح .. أخيرًا انتبه الساكن الجديد لوجود أحد يطرق بابه .. ربما لم يسمع طرقاتى .. ربما رأى الباب يهتز تحت ضغط الطرقات العنيفة .

ما كنت سأقوله فى غاية البساطة : أنا جارك .. د . (ياسين العوضى) .. أهلاً بك .. تشرفت بمعرفتك .. أنا فى خدمتك لو احتجت أى شىء .. أريد منك خفض المذياع لأننى لا أستطيع النوم بسبب صوته العالى .. شكرًا لك .. تصبح على خير .

ولكنى .. عندما رأيت الساكن الجديد .. لم أقل كلمة من هذا .. فقط قلت مندهشًا :

- أنت !

Looloo
www.dvd4arab.com

الساكن الجديد أو الساكنة الجديدة إذا أردنا الدقة .. جارتى .. هى

الآنسة (سهير) .. المريضة التى كانت عندى فى العيادة اليوم ..

ـ أنت !

صاحت مندهشة :

ـ د . (ياسين) .

ـ يا لها من مصادفة .

نظرت لى بطريقة غامضة وقالت :

ـ أشعر أنى رأيتك من قبل .

ضحكت وقلت :

ـ نعم .. فى عيادتى اليوم .. ألا تتذكرين ؟

هزت رأسها وقالت :

ـ لا أقصد هذا .. أنا أشعر أنى رأيتك فى هذا المكان من قبل .. فى نفس المكان الذى تقف فيه الآن .. هنا بالضبط .

ـ لا أعتقد أننا تقابلنا هنا من قبل .

ظهر الضيق عليها وقالت :

ـ (تشاافنو) مرة أخرى .

ـ تقصدين (ديجا فو) .

سألتنى :

ـ هل أنت جارى ؟

ـ نعم .. بالتأكيد لا أطرق بابك فى هذه الساعة إلا إذا كنت جارك .

ـ وهل كنت تعلم أننى جارتك ؟

ـ لا .. لقد فوجئت بهذا الآن .

ضحكت قائلة :

ـ وهل كانت مفاجأة سارة ؟

ابتسمت قائلاً :

ـ طبعًا .

ثم تأملت شقتها أو ما ظهر لى منها .. فأنا لم أدخلها بعد .. كان الأثاث موجودًا ولكنه غير مرتب .. كأنه وُضع لتوه داخل الشقة .. لا أعلم متى نقلوا كل هذا الأثاث الكثير .. يبدو أننى لا أعلم شيئًا عما يجرى فى هذه العمارة .

قالت ضاحكة :

ـ طالما أننا جيران .. لماذا لا نستكمل الجلسة الآن ؟ كنت أريد أن أحدثك عن مشكلتى مع صديقتى .. المشكلة أنها تريد أن ...

قاطعتها قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أولاً : هذه شقتك وليست عيادتى .. ثانيًا : أنا أريد النوم .. ثالثًا : لا أستطيع النوم بسبب صوت مذياعك العالى .

ـ آسفة جدًا يا دكتور .

دخلت بسرعة إلى إحدى الغرف لتخفض صوت المذياع .. ثم عادت وقالت :

ـ آسفة مرة أخرى يا دكتور .

ولكنها لم تجدنى أمامها .. كنت قد دخلت شقتى وقلت لها :

ـ تصبحى على خير .

ألقيت بجسدى على السرير واستسلمت للنوم .. كنت أنتظر الصباح على أحر من الجمر .. وأتمنى أن أنام بعمق حتى أذهب نشيطًا إلى خطيبتى .. لا أريد أن أتحدث إليها بعيون مغلقة أرهقها السهر أو النوم المتقطع .

لكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن .. كان الإزعاج الجديد عبارة عن أصوات عالية غامضة ..

فى البداية اعتقدت أن جارتى تنقل بعض الأثاث وترتب شقتها وتعجبت أنها تفعل ذلك فى هذه الساعة المتأخرة .. أليس بإمكانها الانتظار للصباح ؟

8 ـ إنقـــاذ ..

بعد قليل اعتقدت أنها أصوات ارتطام أثاث ببعضه أو أن جارتى تلعب جمبازًا إيقاعيًا فوق الأثاث أو أن الأثاث نفسه يلعب جمبازًا إيقاعيًا .

نهضت من سريرى واتجهت إلى شقتها وطرقت بابها بعنف .

مازالت الأصوات تنطلق من شقتها .. يبدو أننى قد رُزقت بجارة مزعجة .

أصوات غامضة مريبة ..

هل هى ضربات أم ارتطام أم تكسير أم .. ماذا ؟ ما الذى تفعله هذه الآنسة فى شقتها ؟

طرقت بابها من جديد .. طرقته بعنف ليعلو صوت طرقاتى على الأصوات التى بالداخل .

ثم ...

سمعت صراخها .

كانت تستغيث .

* * *

يبدو أن هناك من يهاجم جارتى داخل شقتها ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ربما لص ..

ربما قاتل ..

ولو .. لن أتراجع .. لابد أن أنقذها .

لم أجد أحدًا معى .. لم يسمع أحد صرخاتها سواى .. فقررت التصرف بمفردى .

هجمت على الباب بأقصى قوتى .. شعرت أن صرخاتها تحفز قواى وتزيدها و الأدرينالين (adrenaline) يتدفق فى عروقى..

لابد أن أنقذ المسكينة بسرعة .. قبل فوات الأوان .

لم يستسلم الباب فى المرة الأولى ..

ولا فى الثانية ..

أما فى الثالثة فقد انفتح على مصراعيه .. ووجدت نفسى داخل الشقة .

كان هناك رجل ضخم يضرب جارتى بعنف شديد .. لم أتحمل رؤية المشهد فتدخلت على الفور لأفصل بينهما .. أمسكت ذراعه لأوقفه عن ضربها ولكنه دفعنى بعيدًا واستمر فى مهمته العنيفة .

الغريب أنه لم يتوقف عندما رآنى أو عندما تدخلت لمنعه ..

أشعر أنه لا يهتم بوجودى .. وكأن ضربه لها حق من حقوقه .. وليس من حق أحد أن يتدخل .

أنا لا أعلم لماذا يضربها ولا صلته بها .. لكنى سأمنعه من ضربها وبعد ذلك سوف أسأل وأعرف ..

لم تجدى معه محاولات المنع .. فقررت الهجوم عليه .

ضربته فى فكه ثم بطنه ضربات متتالية ثم ركلته عدة مرات ..

فترك جارتى أخيرًا ثم توجه لى ليرى ذلك الرجل الذى تدخل فى مهمته الخاصة .

نظر لى بعمق شديد .. شعرت أنه يدرسنى .. يبحث عن نقاط ضعفى قبل بدء الجولة الجديدة .

تراجعت قليلاً ثم هجمت عليه من جديد .. وفى نفس الوقت هجم علىّ .. وبمنتهى العنف .. شعرت أننا همجيان شرسان فى ساحة قتال .

استمر القتال لدقائق .. توالت الضربات واللكمات والركلات من الجانبين .

وفى النهاية استسلم .

Looloo
www.dvd4arab.com

لا .. لم يرفع يده معلنًا استسلامه .. فقط خرج مسرعًا من باب الشقة المفتوح ونزل الدرج .

هرعت وراءه .. وجدت جارتى تقول :

ـ اتركه .

سألتها مندهشًا :

ـ لماذا ؟

ـ أخشى أن يؤذيك أو يقتلك .

ثم اقتربت منى وتأملت جروحى وقالت :

ـ يكفيك ما تحملته من أجل إنقاذى .

ابتسمت قائلاً :

ـ الجيران لبعضها .

ثم جاء السؤال الذى لابد أن أسأله :

ـ من هذا ؟

أبعدت عينيها عنى وقالت بحسرة :

ـ إنه طليقى .

* * *

كانت مفاجأة لى أن تخبرنى جارتى أن ذلك الرجل طليقها .. فسألتها مندهشًا :

ـ طليقك !! .. لقد أخبرتنى فى العيادة أنك آنسة .

ـ آسفة يا دكتور .. لقد كذبت عليك .

ـ لماذا ؟

ـ الواحدة منا تحب أن تقول أنها آنسة .. ولا تحب لقب مطلقة أبدًا .. هذه أشياء نسائية قد لا تفهمها .

تجاهلت عبارتها وقلت :

ـ ولماذا كان يضربك ؟

انتظرت منها إجابة ولكنها قالت بعد فترة صمت طويلة :

ـ تصبح على خير يا دكتور .

شعرت أن سؤالى قد ضايقها .. وجملة تصبح على خير جاءت بدلاً من وأنت مالك ؟ اخرج واذهب إلى شقتك ولا تسأل أى أسئلة فضولية أخرى .. لقد أنهت الحوار بجملة لطيفة .

قلت بهدوء :

ـ وأنت من أهل الخير .

Looloo
www.dvd4arab.com

وخرجت بكرامتى قبل أن تهم بطردى ..

لقد طردتنى حماتى من شقتها .. أما (أسامة) فكان يريد طردى ولكنه لم يفعل .. والآن جارتى .. لا تريدنى أن أظل دقيقة أخرى فى شقتها .. يبدو أننى أصبحت أحمل لقب ضيف غير مرغوب فيه هذه الأيام .

انطلقت إلى شقتى الحبيبة .. التى لا يمكن لأحد أن يطردنى منها .. وألقيت بجسدى المنهك على السرير وانتظرت النوم .

كان جفناى ثقيلان .. النوم يقترب ..

ويقترب ..

لكنى سمعت أصواتًا جديدة ..

وصرخات استغاثة ..

قمت مفزوعًا من سريرى واتجهت على الفور إلى شقة جارتى .. كنت على يقين أن الصرخات قادمة من هناك .

دفعت الباب بكتفى مثل المرة السابقة .. واستسلم الباب على الفور .. يبدو أن الباب أراد اختصار الوقت .

اقتحمت الشقة وأنا أمسك كتفى الذى تحمل كثيرًا هذه الليلة ..

نظرت أمامى .. رأيت طليقها ..

وكأن المشهد يتكرر أمامى .. لو أننى الآنسة (سهير) لصرخت قائلاً (ديجا فو) .. أو كما تقولها (تشافانو) أو (تشافانجو) أو أى كلمة شبيهة فى النطق .

لكن هذه ليست حالة (ديجا فو) .. إن الموقف قد تكرر بالفعل .

لم أرد الدخول معه فى معركة جديدة بحثت عن شىء أقذفه به .. فوجدت أمامى زهرية كبيرة رفعتها لأقذفه بها .. كان كتفى لايزال يؤلمنى .. فتحملت ألم كتفى ورفعت الزهرية عاليًا وقذفته بها .

من الواضح أنى أجيد التصويب .. لقد أصابت الزهرية رأسه مباشرة .. ثم سقطت على الأرض لتتحطم إلى قطع صغيرة .

التفت الرجل الضخم لى وهو يضع يده على رأسه مكان الإصابة وتقدم نحوى .. فاتخذت الوضع القتالى وكأنى محارب نينجا ..

لا مفر من جولة جديدة ..

لكنه لم يحاول قتالى أو رد الضربة لى .. فقط خرج من الباب فى هدوء ولم ينس أن يصدم كتفى بكتفه أثناء خروجه ..

هرعت وراءه ولكنى تذكرت حديث جارتى السابق ومنعها لى

www.dvd4arab.com

9 ـ اختبـــاء ..

من ملاحقته .. فعدت إليها و سألتها متعجبًا :

ـ من هذا ؟

ـ إنه طليقى كما أخبرتك .

ـ ما الذى كان يريده منك بالضبط ؟ هل يريد قتلك أم يريد مالاً أم ماذا ؟

لم ترد فقلت لها :

ـ أنا أسألك لأنى أريد مساعدتك .. ربما استطعت إيجاد حل لك .. لقد ساعدتنى اليوم فى مشكلتى فدعينى أرد الجميل وأساعدك فى مشكلتك .

فكرت للحظات ثم قالت :

ـ حسنًا يا دكتور .. هل تعدنى أنك ستساعدنى إذا أخبرتك بكل شىء ؟

ـ أعدك ..

ـ حسنًا .. بداية المشكلة كانت ..

حكت جارتى أشياء كثيرة ..

حكت لى عن زواجها الذى بدأ بقصة حب واستمر لمدة سنة ثم انتهى بالطلاق .. حكت لى عن غيرته الشديدة وعن قسوته معها وعن عيوب أخرى .. حكت لى عن اليوم الذى طلبت فيه الطلاق لأنها لم تعد تتحمل الحياة معه .

سألتها :

ـ ولماذا يريد قتلك ؟

ـ بعد إجباره على تطليقى لم يستطع الزواج من أى واحدة .. فقد علم الجميع بقصته معى .. تدهورت حالته بعدها .. لم يستطع التركيز فى عمله .. وكانت النتيجة طرده من العمل .. وهو الآن يتنقل من عمل إلى آخر .. لا يستقر فى عمل لأكثر من شهر .

أكملت بدلاً منها مستنتجًا ما حدث :

ـ ... ويعتقد أنك السبب فيما وصل إليه !

ـ بالضبط .. ولهذا يريد قتلى .. يعتقد أننى السبب فى تدمير حياته .. السبب فى تشويه سمعته كزوج .. السبب فى تدهور صحته .. السبب فى طرده من العمل .. السبب فى كل شىء يحدث له .. يرى أننى السبب فى المشاكل التى يتعرض لها يوميًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قاطعتها قائلاً :

ـ أعتقد أنك انتقلت إلى هذا الشقة لتبتعدى عنه .

ـ بالضبط .. ولكنه للأسف عرف مكانها .

ـ وما الذى ستفعلينه الآن ؟

ـ لا تقلق .. أخى سيأتى غدًا وسيعيش معى هنا .. أخى بطل مصر فى رفع الأثقال .. وطليقى يخاف جدًا منه .. المشكلة تنحصر فى هذه الليلة فقط .

ـ ما الذى تعنينه ؟

ـ أعنى .. لو أن هذه الليلة مرت على خير فقد زال الخطر تمامًا .. لأننى من الغد سأكون بأمان تام مع أخى البطل .

لم أفهم ما الذى تلمّح إليه بالضبط .. سألتها :

ـ وكيف تطمئن أن هذه الليلة ستمر على خير إن شاء الله ؟

ـ الحل فى يدك أنت يا دكتور .

ـ أنا !

ـ نعم .. ولقد وعدتنى أنك سوف تساعدنى .

ـ وعدتك بالفعل .. ولكن كيف أساعدك ؟

ـ أنت رجل شهم يا دكتور .. جئت لتنقذنى عندما سمعت

صرخاتى .. ورجل قوى أيضًا .. استطعت التغلب على طليقى فى جولتين متتاليتين .. وشخص موثوق به وسمعته طيبة .

ـ حسنًا .. وماذا بعد هذه المقدمة الطويلة ؟ .. كيف أساعدك ؟

فاجأتنى بقولها :

ـ سأشعر بالأمان إذا ظللت بجوارى هذه الليلة .

قلت مندهشًا :

ـ ماذا ؟

أوضحت كل شىء عندما قالت :

ـ أريدك أن تبيت معى يا دكتور .

* * *

الجيران لبعضهم .. هذا تعلمته منذ زمن .. قد يطلب جار من جاره طماطم .. بصلاً .. ملحًا .. أى طعام .. بعض الأوانى .. وأحيانًا أنبوبة بوتوجاز .. لكن من النادر أن يطلب جار من جاره أن يبيت عنده .. ومن الغريب وغير المقبول أن تطلب جارة مطلقة من جارها الأعزب أن يبيت عندها .. لذا اندهشت كثيرًا عندما قالت جارتى (سهير) :

Looloo
www.dvd4arab.com

- أريدك أن تبيت معى يا دكتور .

صحت مذهولاً :

- ماذا ؟

- لا أعتقد أن طليقى سيفكر فى مهاجمتى وأنا معك .. فلقد لقنته درسًا لن ينساه .

- ربما أكون لقنته درسًا لن ينساه .. ولهذا أعتقد أنه لن يحاول اقتحام شقتك مرة أخرى .. فلقد هاجمك مرتين وفى كل مرة كنت أتدخل وأنقذك .. لا أعتقد أنه سيكرر المحاولة مرة ثالثة بعد فشله فى المرتين السابقتين .

- وماذا لو أنه حاول مرة أخرى ؟

- عليك بالصراخ كما فعلت مَن قبلَ .. وسوف آتى على الفور لأنقذك .

- وماذا إذا لم أستطع الصراخ ؟ ماذا لو أنه أحضر مسدسًا أو سكينًا وقتلنى على الفور ؟

فكرت قليلاً ، ثم قلت :

- لا أعتقد أنه يستخدم هذه الأشياء .. لقد كان يقتلك بيديه العاريتين .. كان يخنقك .. أعتقد أنه لا يحب منظر الدماء .

- وربما أراد أن يقتلنى فى هدوء .. فصوت الرصاص قد يوقظ الجيران .

ضحكت قائلاً :

- صراخك كان أعلى من صوت الرصاص ومع ذلك لم يستيقظ أحد سواى .. وإذا أراد طليقك استخدام المسدس فسوف يستخدم كاتمًا للصوت منعا للإزعاج .. لذا أعتقد أنه يستخدم يديه لسبب آخر .

صاحت بضيق :

- وقد يستخدم حبلاً المرة القادمة .. لذا أريدك أن تكون بجوارى لحمايتى .

ضحكت قائلاً :

- إذا حاول ذلك فاصرخى كما فعلت من قبل .

- ربما كان أسرع هذه المرة .. وربما يكمم فمى .. وربما أصرخ ولا تسمعنى .. أرجوك احمنى منه .

- أنا أريد النوم بشدة .. أنا لا أستطيع حماية أحد وأنا فى هذه الحالة .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت وفى عينيها نظرة ضعف واستعطاف :

ـ وهل ستستطيع النوم وأنت تعلم أن جارتك فى خطر ؟

فكرت لبرهة ثم قلت :

ـ ولكن هذا لا يصلح .. فكرى فى حل آخر .

ـ حسنًا .. إن كنت ترفض فكرة المبيت عندى فلا داعى منها يا دكتور .

تنفست الصعداء وظهرت الابتسامة على وجهى ولكنها فاجئتنى قائلة :

ـ سوف أبيت أنا معك فى شقتك .

ـ ماذا ؟

ـ أعتقد أن هذه الفكرة أفضل .. لن أجد مكانًا أفضل من شقتك للاختباء .. ولو حاول طليقى اقتحام شقتى مرة ثالثة لن يجدنى .. وسوف نعلم بهذا دون أن أتعرض للخطر .. ويمكننا استدعاء الشرطة وقتها للقبض عليه .

اختفت الابتسامة تمامًا وقلت منزعجًا :

ـ لا يمكن أن تبيتى معى فى شقتى .. هذا من رابع المستحيلات .. لا يمكن .. لن يحدث هذا أبدًا .. أبدًا .

* * *

« هذه هى غرفة نومى .. سوف تنامين على السرير .. أما أنا فسوف أنام هنا على الأريكة فى الصالة » .

كنا واقفين فى صالة شقتى .. أشرح لجارتى مكان مبيتها .

لقد كانت مصممة على المبيت عندى .. وحاولت إقناعى بشتى الطرق مستخدمة جميع الأساليب الممكنة .. كانت تبكى فى أوقات .. وتسب وتلعن فى أوقات أخرى لأننى أتخلى عنها فى محنتها ولم أساعدها كما وعدتها .

فى النهاية استسلمت ووافقت على اقتراحها على أن تبيت فى غرفة نومى وتغلق على نفسها الباب وفى الصباح تذهب إلى شقتها مباشرة دون أن يدرى بها أحد من الجيران .. فأنا أريد الحفاظ على سمعتى .

ولقد وعدتنى أنها لن تخبر أحدًا بأنها باتت عندى ووعدتها

Looloo
www.dvd4arab.com

أننى لن أخبر أحدًا بذلك أيضًا .

دخلت غرفة نومى و قالت :

ـ تصبح على خير .

قلت لنفسى (أتمنى ذلك) .

* * *

10 ـ ليلـة واحدة ..

كنت فى حيرة شديدة ..

أشعر أنى أرتكب أكبر حماقة فى حياتى .. كيف أسمح لنفسى باستضافة أنثى ناضجة فى شقتى .. وأنا أعزب أعيش وحدى ؟!

وفى نفس الوقت أشعر أننى أقوم بعمل بطولى .. لقد أنقذتها مرتين هذه الليلة وأنقذها من جديد بالسماح لها بالمبيت عندى .. لقد جنبتها المخاطر لمدة ليلة واحدة .

إنها تبيت عندى من أجل الاختباء من طليقها .. لا لغرض آخر .. لا سمح الله .

أما لو تركتها فى شقتها وجاء طليقها للمرة الثالثة وقتلها هذه المرة فلن أسامح نفسى أبدًا أنى تخليت عنها .

هل ما أفعله الآن حماقة أم عمل بطولى أم .... ؟

* * *

كانت أغلى أمنياتى فى تلك الليلة هى أن تمر على خير ..

النوم على الأريكة ليس مريحًا ولكن هذا لا يهم ..

المهم هو أن أنام .. ثم يأتى الصباح بوجهه المشرق الجميل

Looloo

وتنتهى هذه الأزمة .

لكن النوم لم يأت بسرعة .. كان يتلكأ فى سيره نحوى .. فقضيت وقت انتظاره فى التفكير .. وبمرور الوقت ازداد شعورى بفداحة الخطأ الذى أرتكبه ..

ماذا لو أن طليقها الغيور علم بأمر مبيتها عندى ؟ هى طليقته الآن .. نعم .. ولكنه كان يحبها وربما مازال يحبها ويغير عليها .

ماذا لو أن أخيها علم بأمر مبيتها عندى ؟ وأخيها بطل مصر فى حمل الأثقال .. لن يضربنى .. ربما يحملنى بيديه كأننى قلم رصاص ثم يقذفنى من النافذة .

مـاذا لو أن أحد الجيـران لمحهـا وهى تخرج من شقتى فى الصباح الباكر ؟ سوف تنهار سمعتى داخل العمارة وربما يصل الخبر إلى عيادتى أو المستشفى .. ونقابة الأطباء ..

وربما تعلم خطيبتى بالأمر فتنهار خطوبتنا من جديد بعد أن تم ترميمها على يد (أسامة) .

نظرت إلى باب غرفة نومى بقلق .. بتوجس .. كنت أشعر أننى أحتفظ بقنبلة موقوتة بالداخل .. قنبلة قد تنفجر فى أى لحظة .. وضحايا الانفجار « سمعتى وسمعتها » .. لن يحدث بيننا شىء

ولكن الناس سوف تتحدث .. وتتخيل ..

شابة تخرج من شقة الطبيب الشاب صباحًا .. كانت عنده طوال الليل ..

بالتأكيد فعلاها .. هذا ما سيظنه الناس .. لن يفكر أحد فى مسألة الطليق والاختباء وأنها كانت وحدها فى الغرفة طوال الليل وأنا أحرسها بالخارج .

أتمنى من كل قلبى أن تمر هذه الليلة على خير ..

فجأة دق جرس الباب .. من الذى يفكر فى زيارتى فى هذه الساعة ؟ يبدو أن مخاوفى على وشك أن تتحقق .. ماذا أفعل ؟ هل أفتح ؟ هل أتجاهل هذه الدقات ؟

تجاهلت الدقات فى البداية .. ولكنها استمرت .. قررت أن أفتح الباب لأوقف هذه الدقات اللعينة .. لا أريد إزعاج جيرانى الآن .

لابد أن (سهير) سمعت الدقات واختبأت جيدًا .. لا داعى من تحذيرها .

فتحت الباب لأجد جارى (لؤى فهيم) ..

ـ مساء الخير يا دكتور .

ـ مساء الخير يا (لؤى) .. خير؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ بطنى تؤلمنى .

كان جارى الشاب يقف على عتبة الباب واضعًا يده اليسرى على بطنه ويستند بيده اليمنى على الجدار .. تأوه قليلاً ثم قال :

ـ هل لديك أى دواء لها ؟ .. أنا أعلم أنك طبيب نفسى .. ولكنك بالتأكيد تعرف فى هذه الأمور .

كتبت له اسم دواء فى ورقة ثم قلت له :

ـ اذهب إلى الصيدلية الآن واشتر هذا الدواء وغدًا اعرض نفسك على طبيب متخصص .

ـ إن شاء الله .

ثم لاحظت اختفاء الألم وكأن بطنه شُفيت فجأة .. ثم ظهرت ابتسامة خبيثة على شفتيه .. كانت عينيه مركزة على شىء ما خلفى .. فاستدرت لأعرف سبب هذا التغير المفاجئ .. فلمحت طرف ثياب جارتى التى تختبئ فى غرفة نومى .. يبدو أنها واقفة وراء الباب الموارب تستمع لنا ..

قال (لؤى) وفى عينيه نظرة خبيثة :

ـ هل عندك أحد يا دكتور ؟

* * *

11 ـ إزعـاج ..

كان سؤال (لؤى) مريبًا ويحمل فى طياته شكوكًا كثيرة .. لكنى لم أرد زيادة هذه الشكوك .. بل حاولت محوها على الفور بـ ...

ـ لا .. لا يوجد أحد هنا سواى .

نظر لى بخبث وكأنه لا يصدق ما قلته .. وقال :

ـ لا تقلق .. لن أخبر أحدًا .. أنا شاب مثلك وأفهم هذه الأمور ..

ـ ماذا ؟

اقترب منى وهمس بأذنى :

ـ أنا أيضًا أفعل مثلك أحيانًا ..

ـ ماذا ؟

سألنى وفى عينيه نظرة شيطانية خبيثة :

ـ من أين أتيت بها ؟ فأنا أجدهم بصعوبة ..

ـ ماذا ؟

ـ هل يمكن أن أراها ؟

ـ ماذا ؟

ـ كم دفعت لها ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ماذا ؟

أصبحت أقول « ماذا ؟ » بكثرة .. و كأنى نسيت بقية المفردات اللغوية .. لقد صارت كلمة « ماذا ؟ » هى لغتى الأساسية .

فوجئت به يقتحم الشقة وقد نسى ألم بطنه وقال بحماس :

ـ هل يمكن أن أتحدث معها ؟ ربما تعجبنى ف ...

قاطعته وأنا أدفعه للخارج و أقول :

ـ تفضل .

لأول مرة أقوم بطرد أحدهم بعدما تعودت على الطرد هذا اليوم .

قال لى بخبث :

ـ حسنًا .. سأتركك الآن تكمل سهرتك وسنكمل حديثنا فى وقت لاحق .

ـ لا تفهم الموضوع خطأ .

ـ أنا أفهم الموضوع جيدًا .. أنا لست غبيًا يا دكتور .. لكنى سأعتبر نفسى غبيًا ولم أفهم شيئًا .. بل سأعتبر نفسى لم أر شيئًا .. وتذكر هذا الجميل يا دكتور .

ـ أى جميل ؟

قال بصوت هامس :

ـ لن أخبر أحدًا بما رأيته عندك .. أعدك بذلك .. نحن شباب ويجب أن نحافظ على سمعة بعضنا .. اليوم أنا سترتك .. غدًا أنت تسترنى .

ـ انتظر .. لقد فهمت الأمر بطريقة خاطئة .

لكنه لم يسمعنى .. لقد انصرف ونزل الدرج بسرعة وقد عاد إليه ألم بطنه .

ـ آآآآآآآآآآآآآآه .

هذه لم تكن صرختى .. بل كانت صرختى .. لقد آلمنى هذا الموقف السخيف .

* * *

عاتبت (سهير) كثيرًا .. فقالت :

ـ لم أكن أقصد .. كنت أريد الاستماع .. لقد اعتقدت أنه طليقى .

كانت تقف أمامى فى صالة الشقة وأنا ألومها . قلت لها :

ـ ألم أطلب منك الاختباء وغلق باب الغرفة وعدم الخروج إلا

Looloo

عند الصبا ...

قاطعتنى دقات جرس الباب اللعينة .. صحت غاضبًا :

ـ ماذا الآن ؟

انطلقت (سهير) إلى داخل غرفة نومى فقلت لها :

ـ إياك أن تفتحى باب الغرفة .. لا تصدرى أى صوت .. واختبئى جيدًا .

ثم ..

فتحت الباب .. كان الطارق جارى (مرسى) ..

كان يريد استعارة أنبوبة البوتوجاز .. كعادته .

فى الواقع .. لدىَّ ثلاث أنابيب بوتوجاز .. واحدة منهم أعطاها لى (مرسى) .. هل تتذكرون قصة الأنابيب ؟ (*) ..

ورغم وجود ثلاث عندى لم أستطع إعطاءه أى واحدة منها .

كيف سأعطيه الأنبوبة ؟ كيف ؟ .. لا يمكن إدخاله شقتى فى هذه الليلة ولا يمكن أن أتركه واقفًا عند باب الشقة لأحضر له الأنبوبة .. كان وقوفه يسبب لى توترًا شديدًا .. كنت أخشى أن

(*) راجع (حالة الفراشة السوداء)

يلمح جارتى عندى .. أو يشعر بوجودها .. وكل لحظة تمر تزيد من توترى وقلقى على سمعتى ومستقبلى .. لذا اعتذرت له مدعيًا أننى لا أملك أى أنبوبة ممتلئة .. فرحل على الفور .. وهذا ما أردته ..

ماذا لو شعر (مرسى) بوجودها ؟ أعتقد أن تصرفه سيكون أسوأ من تصرف (لؤى) .. سوف يخبر سكان العمارة جميعهم وربما ينشر الخبر فى جريدة الصباح .

لو جاءنى (مرسى) قبل دخول (سهير) شقتى لأعطيته الأنبوبة .. وربما الثلاث معًا .

لكن هذه المرة .. لن أستطيع مساعدته للأسف .

ثم سمعت دقات من جديد ..

لا أستبعد أن يكون أحد الجيران .. فمن الواضح أن سكان العمارة قرروا زيارتى هذه الليلة .. هذه الليلة تحديدًا .

لكن قبل فتح الباب اكتشفت أن مصدر الصوت هو الهاتف .. ضحكت .. كيف لم أستطع التمييز بين جرس الباب وجرس الهاتف ؟!

Loolo
www.dvd4arab.com

وقبل أن أرفع السماعة شعرت بأن قلبى ينبض بسرعة .. ما هذا ؟

هل من الممكن أن تكون ..... ؟

ـ (نادين) ؟

ـ نعم .. كيف عرفت ؟

ـ قلبى هو الذى أخبرنى .

ـ كيف حالك يا (ياسين) ؟

ـ بالطبع سعيد جدًا .. كيف ستكون حالتى وأنا أحدثك ؟ .. بالتأكيد سأكون فى قمة سعادتى .

ـ لم أستطع الانتظار حتى الصباح لأتصل بك .

ـ وأنا خشيت الاتصال بك حتى لا تغضب والدتك من اتصالاتى .

ضحكت قائلة :

ـ لا تقلق .. والدتى راضية عنك تمامًا .. ولن تغضب منك حتى لو اتصلت بنا فى الثالثة صباحًا .

ـ حقًا ؟

ـ ولا أعتقد أنها ستفكر فى فسخ خطوبتنا حتى لو صدمتنى

بسيارتك مرة أخرى .

ضحكت قائلاً :

ـ إلى هذا الحد ؟

ـ نعم .. ولكن .. أرجوك .. لا تفعلها مرة أخرى .. جسدى لن يتحمل .

ـ بعد الشر عليك يا حبيبتى .. واعلمى أننى لن أسامح نفسى على ما فعلته بك .

قالت بكل رقة :

ـ ولكنى سامحتك .

يا لرقة قلبها .. كل يوم يزداد حبى لهذا الملاك البرىء .

قالت بصوتها الرقيق العذب :

ـ أمى تدعوك على الغداء عندنا غدًا .. يا لسعدك ! .. حماتك راضية عنك .

طرت من السعادة وقلت لنفسى : يبدو أن (أسامة) أصلح الأمور حقًا .

خرجت جارتى من الغرفة .. فوضعت إصبع السبابة بسرعة

Looloo
www.dvd4arab.com

على فمى دليلاً على رغبتى الشديدة فى صمتها .. فهمت إشارتى فلم تنطق بحرف .

وبعد انتهاء المكالمة .. قالت :

ـ هل كنت تتحدث مع خطيبتك ؟

أجبت باقتضاب :

ـ نعم .

تحاشيت النظر إليها وإلى الروب الأزرق الذى ترتديه وقلت :

ـ لماذا لم تنامى ؟

ـ لا أعلم .. حاولت النوم ولكنى لم أستطع .

ـ حاولى مرة أخرى .

اتجهت إلى الأريكة .. واسترخيت عليها ثم أدرت ظهرى لها وقلت :

ـ تصبحى على خير .

ـ هل ستنام ؟

ـ نعم .

ـ ألا يمكنك أن تسهر قليلاً حتى يأتينى النوم ؟

ضحكت وقلت ساخرًا :

ـ هل تنتظرين منى أن أقص عليك حدوتة قبل النوم ؟

ـ لا .. ولكن ما رأيك ؟ ندردش قليلاً ؟

ـ لا .

ـ هل هنا أى ألعاب ؟ شطرنج مثلاً ..

ـ لا .

ـ خسارة .

بعد لحظات سمعتها تقول :

ـ هل تحب أن أصنع لك كوب شاى معى ؟

ـ لا .

ثم شعرت أننى أبدو فظًا معها فأردفت :

ـ لا بأس .. ولكنى لا أريد أن أتعبك .

ـ تعبك راحة .

بعد قليل سمعتها تقول :

ـ تفضل .

ـ ضعيه على المنضدة .

كنت أتحاشى النظر إليها .. لا أريد أن أترك للشيطان ثغرة

Looloo
www.dvd4arab.com

يتسلل منها إلىّ .

شكرتها على الشاى فقالت :

ـ كيف تشكرنى يا دكتور ؟ .. أنا مدينة لك بحياتى .

ـ لم أفعل سوى الواجب .. تصبحى على خير .

ـ وأنت من أهل الخير يا دكتور .

ثم سمعت خطواتها تتجه نحو غرفة نومى ثم سمعت صوت غلق الباب ، فاعتدلت

ثم مددت يدى إلى المنضدة و تناولت كوب الشاى ثم نظرت إلى باب غرفة نومى وصحت قائلاً :

ـ أغلقى الباب عليكِ جيدًا .

ـ حاضر .

وأغمضت عينى ورحت فى نوم عميق .

* * *

فتحت عينى ..

ذراعى يؤلمنى وأكتافى وأنحاء أخرى من جسدى .. لقد كان صراع ليلة أمس شديدًا قاسيًا .

ضوء الشمس ينير المكان .. كنت نائمًا على جنبى .. نظرت

للحائط المواجه لى .. عرفت أننى فى غرفة نومى .

ما هذا ؟

واكتشفت أننى أنام على سريرى وأتدثر بغطائى .. لكن ..

ما هذا ؟

كيف ؟

متى ؟

ما الذى حدث ؟

أنا أتذكر جيدًا أننى كنت نائمًا على الأريكة فى الصالة ؟ كيف وصلت إلى هنا ؟

تقلبت على السرير فاكتشفت أن هناك من يشاركنى الفراش ..

كانت أنثى ..

أنثى سمحت لها بالمبيت عندى لمدة ليلة واحدة .

رأيت وجه جارتى (سهير) وهى تبتسم لى ابتسامة هادئة وتقول :

ـ صباح الخير .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

12 ـ الخطيئة ..

نهضت مفزوعًا ..

نظرت مندهشًا إلى (سهير) التى تنام بجوارى على السرير وغطاء واحد يغطى أجسادنا معًا .. لم يظهر من جسدها سوى رأسها ورقبتها والباقى يستره الغطاء .

قلت لها مندهشًا :

ـ ما هذا ؟ كيف حدث هذا ؟

ظهر عليها الانزعاج و قالت :

ـ ما الذى تعنيه بقولك هذا ؟ هل نسيت ما فعلته ؟

صحت والحيرة تمتلكنى :

ـ وما الذى فعلته بالضبط ؟

صاحت غاضبة :

ـ هل نسيت ؟ أم إنك تدعى النسيان ؟

حاولت أن أعصر مخى لأتذكر ما حدث ليلة أمس ..

تذكرت كل شىء .. لكنى لا أتذكر كيف وصلت إلى هنا ولا كيف نمت معها على سرير واحد .. قلت لها :

ـ أنا أتذكر جيدًا أننى نمت على الأريكة فى الصالة .. وأنت دخلت هذه الغرفة لتنامى .. هنا على هذا السرير .. ولقد طلبت منك أن تغلقى الباب عليك جيدًا .

ـ نعم .. لقد حدث ذلك بالفعل ولكن ألا تتذكر ما حدث بعد ذلك ؟

ـ لا .. وهل حدث شىء بعد ذلك ؟

ابتسمت فى غيظ وقالت :

ـ بالتأكيد .. حدثت أشياء كثيرة بعد ذلك .. أم إنك ترى نفسك مازلت نائمًا على الأريكة ؟

ـ وما هى الأشياء الكثيرة التى حدثت بعد ذلك ؟ هل تتذكرينها ؟

ـ بالتأكيد أتذكرها .. وأنت أيضًا تتذكرها .. لأنك كنت بحالة جيدة وتصرفت معى بكامل إرادتك ووعيك .

ـ أقسم لك إننى لا أتذكر شيئًا .. وهذا ما يحيرنى .. كيف لا أتذكر ما حدث .. أنا لا أشرب الخمر ولا أتعاطى مخدرات فكيف أفعل أشياء لا أتذكرها ؟

صاحت منزعجة :

ـ ألا تتذكر حقًا ؟ أم إنك تفعل ذلك لكى تغيظنى ؟

Looloo

شعرت أن عقلى سينفجر بعد قليل .. قلبى يدق بسرعة رهيبة ..

قلت لها :

ـ جريمتى ! .. ما الذى فعلته بالضبط ؟

التقطت نفسًا عميقًا ثم قالت :

ـ سأخبرك .. إن كنت لا تتذكر حقًا .

* * *

هل فعلتُ كل هذا ؟

قلتها لـ (سهير) متعجبًا مما حكته لى .. فأجابتنى قائلة :

ـ نعم .

ـ هل أنت متأكدة ؟

ظهر الغضب عليها وكادت أن تنفجر فى وجهى لولا أننى قلت :

ـ أقسم لك .. أنا لا أتذكر شيئًا مما ذكرته الآن .. ولا أصدق أننى فعلت كل هذا ؟

ـ ما الذى تعنيه بقولك هذا ؟ هل تعتقد أننى أكذب ؟

لم أرد .. فعادت تكرر سؤالها فقلت :

ـ لم أقل أنك تكذبين .. ولكن ..

لم أستطع إكمال عبارتى .. ماذا أقول ؟

أشعر أنها تكذب .. ولكن لو أنها تكذب فكيف وصلت إلى هنا ؟

بدأت تنهض فعرفت أنها ترتدى قميص نوم أزرق .. سألتنى :

ـ ما الذى تنوى فعله الآن ؟

تحسست نفسى أسفل الغطاء فأدركت أننى لا أرتدى سوى سروال فقط .

قلت لها :

ـ لا أدرى .

صاحت غاضبة :

ـ لابد أن تصحح خطأك .

بمجرد أن نطقت جملتها شعرت أن قلبى يسقط .. يسقط بسرعة رهيبة .. والدماء تهرب من عروقى .. وعقلى يدور حول نفسه .. أشعر أنه سيتركنى ويرحل بعيدًا .. أما عيناى .. فقد شعرت أنها تعطلت فجأة .. لم أعد أرى بوضوح .

كانت جملتها تعنى أن أتزوجها .. لأصحح خطئى الذى لا أتذكر أنى فعلته .. ولكن وجودى بجوارها الآن يثبت أننى فعلته .

Looloo www.rdd4group.com

لكن لو تزوجتها فهذا يعنى أننى تزوجت امرأة أخرى غير حبيبة قلبى (نادين) .. لو عرفت (نادين) أنى تزوجت غيرها سوف تكرهنى .. لن تقبل الزواج منى .. وأخشى أن تنتحر لأنى تركتها وتزوجت غيرها .. يا له من مصير أسود .

لو تزوجتها .. سيتساءل الجميع : لماذا تزوج د . (ياسين) جارته وترك خطيبته (نادين) ؟ ولماذا تزوجها بهذه السرعة ؟ لابد أن هناك سرًا .. وسرعان ما ينكشف السر .. ويعلم الجميع أنى أخطأت .. وزواجى السريع كان هو الحل .

قالت بهدوء :

ـ هل ستتزوجنى ؟

أطلقت زفيرًا طويلاً وأنا أحاول تذكر ما حدث ليلة البارحة .. عادت تكرر سؤالها فى إلحاح قاتل .. ثم قالت :

ـ من الأفضل لك أن تتزوجنى و إلا ..

ـ وإلا ماذا ؟

ـ وإلا سوف أفضح أمرك و أخبر الجميع بما حدث .

ـ ولكنكِ سوف تفضحين نفسك فى الوقت نفسه .

ـ نعم .. و لكنى سأضطر لذلك .. لأنك لو لم تتزوجنى وظهرت أعراض الحمل علىّ فسوف يفتضح أمرى .

ـ حمل !!!

ـ نعم .. حمل .. ألم يخطر هذا ببالك ؟

ـ .....

ـ ولهذا سأكون مضطرة لإعلان اسم أبى ابنى .. ووقتها سيجبرك الجميع على تصحيح خطأك وتكون فضيحة لى ولك .. لذا من الأفضل أن نتزوج فورًا حتى لا تكون هناك أى فضائح .

قلت لنفسى : هل سيكون زواجى بهذه الطريقة ؟ هل انتظرت كل هذه المدة لأتزوج من هذه المرأة ؟ ويكون السبب تصحيح الخطأ .. ليس زواجًا عن حب ولكنه زواج تجنبًا للفضيحة .

قلت لها :

ـ ألم يخطر ببالك أن زواجنا السريع هذا سوف يثير الشكوك ؟

فكرت لبرهة ثم قالت وهى تلوى شفتها وتهز كتفيها :

ـ لا .. سنقول أنه حب من أول نظرة .. وأن هناك صلة قرابة .. عائلتى تعرف عائلتك .. ولهذا تم الزواج بسرعة .

Looloo
www.dvd4arab.com

شعرت أن حياتى تتغير الآن .. هذا اليوم سيحمل نقطة تحول فى حياتى .

لابد أن أتخذ قرارًا الآن .. ولابد أن يكون قرارًا صائبًا .. لابد أن أفكر بهدوء .

قلت لها :

ـ فلننتظر قليلاً .. لنتأكد إن كان هناك حمل أم لا .

صاحت غاضبة :

ـ لا .. لن أنتظر .. لابد أن تتزوجنى .. والآن .. فإن لم يكن هناك حمل فطلقنى .. أما إذا كان هناك حمل فالقرار قرارك .

ـ كيف ؟

ـ ستقرر وقتها إما أن نستمر فى زواجنا ونربى ابننا معًا .. أو تطلقنى وتترك ابنك لى .. أربيه بمعرفتى .

ـ ابنى !!

ما هذا ؟ .. ابنى الذى تمنيت أن تكون أمه (نادين) .. ستكون أمه هذه المرأة .. (سهير) ! كيف ؟ كيف ؟ كيف يأتى ابنى بهذه الطريقة ؟

ثم جاء صوت جرس الباب ليقطع أفكارى وخواطرى .. نظرت فى ساعتى .. وجدتها الثامنة ..

سألتنى (سهير) بقلق :

ـ من الذى يدق بابك فى هذه الساعة ؟

ـ لا أعلم .

ونهضت مسرعًا والتقطت ملابسى ثم قلت لها :

ـ إياك أن تخرجى من الغرفة .. البسى ملابسك بسرعة واختبئى لا أريد أن أسمع صوتًا واحدًا .

ـ لم أسمع ردك بعد على سؤالى .

ـ أى سؤال ؟

ـ هل ستتزوجنى ؟

الموقف حرج للغاية ..

جرس الباب يدق ..

طرقات ..

التوتر يزداد ..

لو أن هذا الطارق علم بوجود (سهير) عندى ستكون

Looloo

فضيحة وأنا أخاف على سمعتى .. وهى تعلم ذلك ولهذا تستغل الفرصة وتسألنى فى هذه اللحظة ..

فلو أننى أجبتها الآن بـ لا فسوف تخرج الآن وتكشف الأمر .. أما اذا أجبتها بـ نعم فستظل بمكانها ولن تخبر أحدًا بما حدث ..

لقد سألت سؤالها فى الوقت المناسب ويجب أن أرد عليها بالإجابة المناسبة .. قلت لها مستسلمًا :

ـ نعم .. سأتزوجك .

رأيت السعادة تطل من عينيها فأكملت :

ـ لكن إذا خرجت من الغرفة فسوف ...

ـ لا تكمل .. لن أخرج طالما وعدتنى بالزواج .

اقتنعت بجملتها وخرجت مسرعًا من الغرفة .. وارتديت ملابسى فى الصالة ثم فتحت الباب لأجد الطارق يقول مبتسمًا :

ـ مفاجأة .

نعم .. كانت مفاجأة ..

مفاجأة غير سارة على الإطلاق .

* * *

13 ـ زيارة مفاجئة ..

قال (أسامة) وهو يبتسم ابتسامة عريضة :

ـ مفاجأة .

ابتسمت له ثم ألقيت نظرة خاطفة على باب غرفة نومى فى توتر .. ثم عدت بنظرى إليه وحاولت أن أرسم ابتسامة ترحاب على شفتى وقلت :

ـ مفاجأة جميلة .

جاءتنى فكرة أن أصطحبه ونخرج .. أخبره أننى ذاهب إلى عملى الآن .. أو أخبره أن هناك مرضى فى انتظارى فى العيادة ولا أريد أن أتأخر عليهم .

لابد أن أقنعه بالانصراف فورًا .. لأنه لو دخل قد يراها .. ولو رآها سيفضحنى .. هذا أقل شىء يمكنه عمله .

قال لى وابتسامته تزداد حتى كادت أن تلتهم وجهه :

ـ لقد أحضرت لك معى مفاجأة .

قلت لنفسى وهل هناك مفاجأة أكثر من وجودك أمامى الآن ؟

ثم ظهرت المفاجأة التالية أمامى ..

www.dvd4arab.com

كانت (نادين) ..

مفاجأة بالفعل .

ثم ظهرت أمها .. مفاجأة أخرى .

إن هذا هو صباح المفاجآت .. بدأ بمفاجأة فى الفراش .. وتوالت بعد ذلك المفاجآت المذهلة ..

لقد جاءوا جميعهم يزورونى زيارة مفاجئة .. لو أنهم جاءوا فى أى وقت آخر فى أى يوم آخر كنت سأسعد بهذه المفاجأة .

لكن ..

هذه الزيارة فى هذا الوقت بالتحديد .. مفاجأة غير سارة .

إن الأمور تزداد سوءًا .

* * *

فكرت أن أخبرهم أن المنزل آيل للسقوط .. حتى ينصرفوا على الفور .. ولكن كيف أقول هذا عن عش الزوجية الذى سيجمعنى بـ (نادين) ؟ .. بالتأكيد لن أستطيع قول ذلك .

فكرت أن أخبرهم بأن المشى أثناء الصباح رياضة مفيدة .. لا يجب أن نضيعها .

فكرت أن أدعوهم على الإفطار فى مطعم فاخر ..

لكن ..

شعرت أن كل هذه الأفكار سيئة ويجب ألا أقول حرفًا واحدًا منها .. يجب أن أدخلهم شقتى وأرحب بهم حتى لا أثير قلقهم أو غضبهم .. لا يجب أن أشعرهم أننى متضايق من زيارتهم وأننى أرحب جدًا بفكرة طردهم ..

لقد كانت الأمور سيئة وقام (أسامة) بإصلاحها .. فيجب أن أحافظ على هدوء أعصابى وألا أتسبب فى أى شىء قد يفتح الجروح القديمة .

ـ أهلًا بكم جميعًا .. مفاجأة جميلة .

قالت (نادين) :

ـ كيف حالك يا (ياسين) ؟

قلبى يخفق بشدة .. هل من الحب ؟ أم من القلق ؟

قلت لها :

ـ بخير .. الحمد لله .

أعتقد أن قلبى يخفق بهذه السرعة بسبب الحب .. لقد أعطتنى

Looloo
www.dvd4arab.com

أميرتى أجمل ابتسامة .. لقد أذابتنى تمامًا .

قالت حماتى :

ـ كيف حالك يا بنى ؟

ـ الحمد لله .

كانت تجول بنظرها فى أنحاء الشقة وهى جالسة فى مقعدها .. ثم قالت :

ـ لا أرى أى تطورات حدثت فى الشقة .. الشقة كما هى منذ آخر مرة زرناك فيها .

ـ العمال هم السبب .. ولكن لا تقلقى .. سوف أجهزها فى أسرع وقت .

ثم تذكرت أننى لم أقدم شيئًا لهم حتى الآن .. خطأ فادح .. لا أريد أن تعتقد حماتى أننى بخيل .. لابد أن أتحرك وبسرعة .

نهضت من مكانى وقلت :

ـ ماذا تشربون ؟

فجأة .. سمعنا صوت ارتطام صادر من غرفة نومى .. لابد أن (سهير) أسقطت شيئًا بالداخل .. لمحت نظرات الريبة فى عيونهم

قالت حماتى وهى تتفحصنى بعيونها :

ـ فلتدخل يا ولدى لتطمئن وتعرف ما الذى سقط .

قال (أسامة) :

ـ وكيف سقط ؟ هل لديك أى حيوان أليف ؟ قطة مثلاً ؟

ضحكت بصعوبة وقلت :

ـ لا .. لا .. ربما تركت شيئًا على حافة الكومود ودخل الهواء من النافذة وأسقطه .. أعتقد أنه المنبه .

لمحت نظرات الشك فى عيون (نادين) وأمها ..

لابد أن أعالج الموضوع بحكمة حتى لا تتدهور الأمور أكثر وأكثر .. وربما ينكشف كل شىء .

ذهبت إلى غرفة نومى وفتحت بابها وأدخلت رأسى فيها .. لم أر (سهير) .. يبدو أنها اختبأت .. لكن أين هى ؟

ربما تحت السرير .. وربما خلف الباب عندما فتحته .

أغلقت الباب ورسمت ابتسامة عريضة .. وعدت إليهم قائلاً :

ـ إنه المنبه كما توقعت .

سألتهم من جديد :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ماذا تشربون ؟

* * *

خرجت من المطبخ بعد أن جهزت لهم مشروباتهم بأسرع وقت ممكن .. لكن يبدو أننى كنت بطيئًا .. لقد حدث ما توقعته .

لقد تركوا أماكنهم .. لا أعلم الحديث الذى دار بينهم قبل ذلك ولكنى رأيتهم الثلاثة يقفون أمام باب غرفة نومى .

رأيت (أسامة) يضع يده على مقبض الباب ويحاول فتحه ..

تركت الصينية تسقط من يدى بما تحمله من أكواب .. ربما لألفت انتباههم .. أو لأذهب بسرعة وأنقذ ما يمكن إنقاذه ..

هرعت إليهم و لكن ..

بعد فوات الأوان ..

لقد فتح (أسامة) الباب .

* * *

14 ـ الضيـاع ..

كان مشهدًا فريدًا من نوعه ..

وقف الثلاثة أمام باب غرفتى ينظرون إلى ما بداخلها وعلى وجوههم نظرات عجيبة .. غير مألوفة .. وقفوا ثابتين كتماثيل من صخر لا يتحركون قيد أنملة .. هرعت لأرى ما جذب انتباههم لهذه الدرجة والأسئلة تعصف بعقلى .

هل رأوا (سهير) ؟ .. بالتأكيد رأوها .. لا أعتقد أن غرفتى تثير الدهشة إلى هذه الدرجة .. ولكن كيف رأوها ؟ أين كانت حين رأوها ؟ ماذا كانت ترتدى حين رأوها ؟

وصلت إليهم بسرعة البرق لأراها ..

ورأيتها ..

كانت (سهير) تقف فى منتصف الغرفة بالضبط أمام السرير .

لن أصف لكم ما كانت ترتديه .. لأنه من الصعب .. بل من المستحيل أن أصف شيئًا ليس موجودًا .

* * *

خرج الثلاثـة من شقتى مسرعين والدهشـة تملأ عيونهم

Looloo
www.dvd4arab.com

والضيق يملأ صدورهم .

خرجت وراءهم ولكن ..

كيف سأدافع عن نفسى وقد رأوها بهذا الوضع وفى هذا المكان ..

عدت إلى شقتى واتجهت إلى غرفة نومى .. وصحت قائلاً دون أن أنظر إلى (سهير) :

ـ ما هذا ؟

ـ كنت أغير ملابسى .. لم أتوقع أن يدخلوا فجأة هكذا .

ـ لماذا لم تختبئى كما طلبت منك ؟

ـ كنت مختبئة بالفعل ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟

خرجت من الغرفة وهى تقول :

ـ يمكنك النظر الآن .. لقد ارتديت ملابسى .

ثم قالت بلهجة خبيثة :

ـ ولا أعتقد أن هناك حرجًا بينى وبينك بعد الذى حدث ليلة أمس .

ـ لا تغيرى الموضوع وأكملى جملتك .. ولكن ماذا ؟

ـ أنا نسيت .. ما الذى كنت أقوله ؟

أكاد أنفجر من الغيظ .. قلت لها :

ـ لا يهم .. لقد حدثت الكارثة ولا أريد كوارث أخرى لذا اخرجى الآن من شقتى .. أرجوك .. لا أريد أن يراك أحد آخر هنا .

اتجهت نحو باب الشقة وقالت :

ـ حسنًا .. سأخرج .

وقبل أن تخرج استوقفتنى قائلة :

ـ وماذا عن موضوعنا ؟

ـ أى موضوع ؟

ـ ألن تتزوجنى ؟

أجبتها ببرود :

ـ سوف نتحدث فى هذا بعد عودتى .

ـ عودتك .. عودتك من أين ؟

ـ لا يهمك هذا .

ودفعتها إلى الخارج .. فقالت لى بغيظ :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنت ذاهب إليها .

لم أجبها .. فقط أغلقت شقتى جيدًا و نزلت الدرج .

* * *

عندما فتحت حماتى الباب وقالت :

ـ أنت ! كيف ؟ .. كيف تجرؤ على القدوم إلى هنا بعد الذى رأيناه ؟

قلت لها :

ـ اسمحى لى أن أوضح لك الأمر .

ضحكت بسخرية وقالت :

ـ أى توضيح ؟

ـ السيدة التى رأيتموها فى شقتى تعتبر ...

قاطعتنى قائلة :

ـ حتى لو كانت زوجتك .. لن أقبل أن تكون (نادين) هى الزوجة الثانية لك .

ـ لكنها ليست زوجتى .

صرخت قائلة :

ـ وليست زوجتك .

ـ نعم .

صاحت غاضبة :

ـ اغرب عن وجهى الآن ..وإلا تصرفت معك تصرف لن يعجبك .

ـ من فضلك اسمعينى .. دعينى أشرح لكِ ما حدث .. دعينى أدافع عن نفسى .

رفعت كفها أمام وجهى وقالت بلهجة حاسمة :

ـ لن أسمع منك كلمة أخرى .. لقد انتهى كل شىء بينك و بين ابنتى .. ولن تتزوجها أبدًا .. ولو أنك آخر رجل على الأرض لن أزوجها لك .

يبدو أن الوقت غير مناسب للتفاهم معها .. سوف أنصرف الآن .. وآتى فى وقت آخر وأشرح لهم ما حدث بالتفصيل .

لكن ..

ظهرت (نادين) ..

قالت لى والدموع تتساقط من عينيها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ انصرف يا (ياسين) .. لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى .

قالت حماتى وهى تحتضن المسكينة :

ـ لماذا تبكين ؟ إنه لا يستحق دمعة منك .

لم أستطع تحمل رؤية الدموع فى عينى الملاك نزلت بسرعة .

قالت حماتى :

ـ أنصحك بالبحث عن عروسة أخرى لك .. أو تزوج التى رأيناها عندك وتوقف عن اللهو والعبث .

لم أرد عليها .. لم أهتم بما تقوله .. ولكنها تابعت قائلة :

ـ واعلم يا دكتور أنى سأزوج ابنتى خلال أسبوع .

ـ .....

ـ سوف أزوجها لـ (أسامة) .. لقد طلب يدها عندما خرجنا من عندك .

ـ .....

لم أقل كلمة .. ولكنى سمعت (نادين) من خلفى تقول لأمها بصوت مختنق من البكاء :

ـ وأنا موافقة يا أمى .

لقد ضاعت (نادين) منى .

ضاااااااااااعت .

* * *

لم أعد إلى شقتى ..

لأنى سأجد هناك جارتى تنتظرنى وربما أجد مأذونًا معها ..

سوف أذهب إلى (أسامة) .. لأمنعه من الزواج من (نادين) أولاً .. ولأقنعه بالتوسط لى مرة أخرى عند حماتى .. وقد أستخدم أسلوب التهديد هذه المرة .

لكن هل سيقتنع أنى أستطيع إدخاله مستشفى الأمراض العقلية ؟

وقفت أمام شقة (أسامة) .. أدق جرس الباب ..

وبعد لحظات انفتح الباب وتوقعت أن أرى وجه (أسامة) أمامى مباشرة ..

ولكنى رأيت وجهًا آخر ..

وجهًا لم أتوقع رؤيته هنا أبدًا .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

15 - الخطـة ..

رأيت وجه (سهير) ..

كانت هى التى فتحت الباب .. لكن .. كيف ؟ لماذا ؟

حاولت إغلاق الباب بسرعة لكنى وضعت يدى ثم دفعت الباب بغضب ودخلت الشقة .. وسألتها متعجبًا :

ـ لماذا أنت هنا ؟ ما هى علاقتك بـ (أسامة) ؟

ثم بدأ عقلى يربط الأحداث ببعضها .. وبدأت أفهم .. قلت لها :

ـ كل ما حدث كان من تخطيط (أسامة) .. أليس كذلك ؟

لم تنطق بحرف .. فعرفت أننى على حق .. فأكملت :

ـ ولقد نفذتما الخطة ببراعة شديدة .. يقنعهما (أسامة) بزيارتى فى الصباح وتكونين أنت جاهزة فى غرفة نومى .. لتكون حالة تلبس متقنة .. لكن .. ما هى علاقتك بـ (أسامة) ؟ ولماذا اشتركت معه فى كل هذا ؟ ومن هو الشخص الذى هاجمك بالأمس ؟ لا أعتقد أنه طليقك .. أعتقد أنه كان ضمن خطتكما أيضًا .. ولهذا لم يستخدم مسدسًا أو سكينًا .

ظلت صامتة ولكن عينيها أكدت لى أننى محق فى كل كلمة قلتها .. لكنى أريد معرفة تفاصيل أكثر .. لذا تقمصت شخصية الرجل الخطير وقمت بتهديدها بإبلاغ الشرطة لو لم تنطق .

وهكذا وجدتها تعترف بكل شىء ..

وبالتفاصيل التى أريدها .

* * *

(سهير) ..

فتاة بائسة ..

تمثل أحيانًا كـ « كومبارس ناطق » .. تؤدى أى دور يُطلب منها سواء فى السينما أو على خشبة المسرح أو فى الحياة نفسها .. فتاة مستعدة لفعل أى شىء طالما أن هناك مقابلاً ماديًا .. قد تراها تغنى فى فرح أو ترقص فى ملهى ليلى .. هى ليست فتاة ليل .. لكنها يمكن أن تؤدى دور فتاة ليل ..

أما الشخص الذى هاجمها بالأمس فهو

(زناتى) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

صديقها .. زميل عمل .. يمثل أحيانًا كـ « كومبارس صامت » نظرًا لموهبته المحدودة .. يعيش على نفس نمط حياتها .. مستعد لعمل أى شيء أيضًا .. قد تجده يحرس راقصة أو يدخل فى معركة انتخابات شرسة من أجل مرشح .. ليس بلطجيًا ولكنه على وشك أن يكون ذلك .

دفع (أسامة) لهم بسخاء .. لينفذ كل واحد دوره بإتقان .. تبدأ الخطة من شقة جارتى ليلة أمس .. وتنتهى فى الصباح .. ولقد تم تنفيذ الخطة بنجاح .

تضع (سهير) المنوم لى فى كوب الشاى ثم تفتح باب شقتى لشريكها (زناتى) لكى يدخل .. ثم يحملانى معًا إلى غرفة النوم ويضعانى فى السرير ثم يخرج شريكها وقد انتهى دوره تمامًا .. أما هى فتجهز نفسها لمفاجأة الصباح .. كان المفروض أن تفتح باب الشقة ـ وأنا نائم ـ للزائرين الثلاثة .. لكنى استيقظت وفتحت أنا الباب لهم ..

وحدث ما حدث ..

قلت لها :

ـ لم يحدث شيئًا بيننا ليلة أمس .

ـ نعم .. لقد جعلك المنوم تنام بعمق .

سألتها متعجبًا :

ـ لماذا كنت مصرة على موضوع الزواج إذن ؟ هل كان هذا ضمن الخطة ؟

ـ لا .. لقد كنت أريد الزواج منك فعلاً .. لقد أحببتك يا دكتور وأعجبتنى فكرة الزواج منك .. ولقد جئت لـ (أسامة) الآن لأخبره بذلك .

ـ ولكى تأخذى بقية أجرك .

ـ صدقنى .. كنت سأعطيه ما أخذته .. انظر .

وفتحت حقيبتها وأرتنى بعض المال بداخلها وقالت :

ـ كنت سأرده له .. لقد أحببتك يا دكتور .. أحببت شهامتك وكرم أخلاقك .. أحببت دفاعك عنى بالأمس .. أحببت رؤية وجهك وأنت نائم .. أحببت ...

قاطعتها قائلاً :

ـ من فضلك توقفى عن التمثيل .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا يا دكتور .. هذا ليس تمثيلاً .. لقد انتهى دورى عند خروج الثلاثة من شقتك .. لكن أنا التى أريد أن ...

قاطعتها مرة أخرى وقلت :

ـ وزيارتك لى فى العيادة بالأمس .. هل كانت ضمن الخطة ؟

ـ لا .. كنت أريد التعرف عليك قبل بدء التنفيذ .. ولكى يحدث بيننا ألفة حتى تقتنع بعد ذلك بفكرة إدخالى شقتك والمبيت عندك .

ـ و الـ (ديجا فو) ؟؟

ـ أنا أعانى منها فعلاً .

ـ ربما بسبب تكرار الأدوار التى تؤدينها .

ثم صفقت لها قائلاً :

ـ لقد أديت دورك ببراعة .. لقد صدقتك .. يجب أن يعطوك أدوارًا بطولة .

اقتربت منى وقالت :

ـ أنا أحبك يا دكتور .. تزوجنى وسأكون لك خادمة وأنفذ كل شىء تطلبه.. سأترك كل الماضى .. سأعيش حياتى من أجلك .. أرجوك .. أنقذنى من حياة الضياع التى أعيشها .

لم أهتم بما تقوله وقلت لها :

ـ هناك أمر مازال يحيرنى .. لماذا خطط (أسامة) لكل هذا ؟ لو كان هدفه إبعادى عن (نادين) فالأمر سهل جدًا لا يحتاج إلى كل هذه الخطط ؟

اندهشت (سهير) فتابعت قائلاً بمرارة :

ـ كانت علاقتنا منتهية أصلاً .. لقد صدمت (نادين) بسيارتى وغضبت حماتى منى فقامت بفسخ الخطوبة .. أى أن موضوع زواجنا منتهٍ .. ليس به أى أمل .. وكان بإمكان (أسامة) ترك الأمور كما هى وستظل (نادين) بعيدة عنى .. ولكنه تصرف بطريقة عجيبة .. لقد توسط لى عند حماتى وأعاد الأمور إلى مجاريها .. فلماذا فعل ذلك ؟ ولماذا خطط بعدها لتلك الخطة الدنيئة ؟ كان بإمكانه ترك الأمور كما هى .

قالت (سهير) وكأنها تفكر معى :

ـ ربما كانت حماتك غاضبة منك ولكن (نادين) ليست كذلك .. ربما خطط (أسامة) كل هذا لكى يجعل (نادين) تكرهك .. إن المرأة يمكن أن تغفر أى شىء لحبيبها إلا

أكملت أنا قائلاً :

Loolo
www.dvd4arab.com

ـ .... الخيانة .

ـ بالضبط .

لقد اتضحت الرؤية لى تمامًا فقلت :

ـ لقد أصلح (أسامة) الأمور بينى وبين (حماتى) .. ليخطط لشىء أكبر يجعل (نادين) وحماتى يكرهوننى معًا .. وهكذا لن يكون هناك مجال لإصلاح الأمور .. ربما توقع (أسامة) أن تقنع (نادين) أمها بمسامحتى .. أما الآن ...

منعت نفسى من البكاء وأنا أكمل :

ـ (نادين) تكرهنى .. لقد قالت لى أنها موافقة على الزواج من (أسامة) .

ثم صحت قائلاً :

ـ لكن هذا لن يحدث .. لن يحدث أبدًا .

ثم أمسكتها من ذراعها بقوة وقلت :

ـ ستأتين معى .. ستخبرين (نادين) بكل شىء .

ـ لا .. مستحيل .. هذا لن يحدث أبدًا .. أبدًا .

ـ لماذا ؟

ـ ولماذا أفعل ؟

قلت لها مستخدمًا لغة المال :

ـ أخبرى (نادين) بالحقيقة وسأدفع لك ما كان (أسامة) سيدفعه لك وأكثر .

ـ لا أريد مالاً .

ـ ماذا تريدين ؟

ابتسمت وقالت هامسة :

ـ أريد أن أتزوجك .

ضحكت .. وقلت أنا هذه المرة .

ـ لا .. مستحيل .. هذا لن يحدث أبدًا .. أبدًا .

* * *

رفضت (سهير) مساعدتى .. رفضت الاعتراف بالحقيقة أمام (نادين) .

حاولت إقناعها وحاولت تشجيعها وحاولت تهديدها ولكنى

Looloo
www.dvd4arab.com

فشلت بكل الطرق .

تركتها فى شقة (أسامة) وذهبت إلى شقتى بأقصى سرعة .. وهناك .. وقفت أمام مكتبى .. وفتحت أحد أدراجه ونظرت إلى المسدسين القابعين فيه .. أخرجت أحدهما وتأملته .. وقلت :

ـ للأسف .. لا يوجد أمامى حل آخر .

* * *

16 ـ نهاية قصة حب ..

قد يتعجب البعض من احتفاظى بمسدسين فى درج مكتبى .. ولماذا اثنان ؟ ألا يكفى واحد ؟ .. فى الواقع لم أشتر أيًا منهما ..

لكل مسدس حكاية طويلة .. من تابع الحالات السابقة يعرف جيدًا كيف حصلت على هذين المسدسين (*).

لقد احتفظت بهما .. ولم أكن أتوقع أنى سأضطر لاستخدام أحدهما يومًا .

ليست لدىَّ أى نية لقتل أحد .. لذا أفرغت منه الرصاصات .. سوف أستخدم المسدس للتهديد فقط .. لكى أجبر (أسامة) على الاعتراف أمام (نادين) .. الاعتراف بكل شىء .. يجب أن يظهر على حقيقته أمام (نادين) وأمها .

إن المسدس وسيلة مقنعة ومحفزة للتحدث .. أعلم أنها طريقة خطرة ولكن ليس أمامى حل آخر .

اتصلت بـ (أسامة) .. ففوجئت بـ (سهير) هى التى ترد علىَّ .. يبدو أنها لم تخرج من هناك بعد

(*) راجع (حالة الحاسة السادسة) و (حالة مستحيلة)

Looloo
www.dvd4arab.com

أخبرتنى أنه جاء وأخذت بقية أجرها منه .. حتى لا يشك فيها .. ولا يشك أنها أخبرتنى بكل شىء ..

أخبرتنى أيضًا أن (أسامة) ذهب إلى (نادين) ..

وضعت السماعة واتجهت إلى شقة أميرتى وأنا أضع المسدس فى جيبى وأضع فى جيبى الآخر الدبلة لأعيدها إلى إصبع (نادين) عندما توافق أمها على العودة .

وتمنيت أن تفتح (نادين) الباب لى ولكن أمنيتى لم تتحقق .. لقد فتح (أسامة) الباب .. ربما لأنه يعتبر نفسه رجل البيت .

ـ د . (ياسين) !

ـ (أسامة) !

ـ أعتقد أن وجودك هنا الآن غير مناسب .

سمعت صوت حماتى من الداخل ..

ـ كيف جئت إلى هنا بقدميك ؟ .. لابد أن أبلغ الشرطة .

دفعت الباب بيدى ودخلت .. ثم دفعت (أسامة) حينما منعنى من الدخول .. ثم قلت لحماتى :

ـ حسنًا .. وسوف أبلغ الشرطة أنا أيضًا .

سألنى (أسامة) باهتمام :

ـ هل ستسلم نفسك للعدالة ؟

ـ لا .. سوف أبلغ الشرطة عنك .

وظهرت (نادين) ..

كانت لا تزال غاضبة منى .. لقد رأت مشهدًا قاسيًا لن تنساه .. حبيبها يخونها .. آه يا (نادين) .. كم أحبك ! .. صدقينى يا ملاكى .. لم أخونك .. ولن أخونك .

قال (أسامة) محتجًا :

ـ لماذا ؟! هل أنا الذى صدمت (نادين) بسيارتى ؟ هل أنا الذى خنتها مع ...

قاطعته قائلًا :

ـ (سهير) .

ـ كنت سأقول واحدة أخرى .. لأنى لا أعلم اسمها .

ـ كيف لا تعلم اسمها وأنت الذى استأجرتها لتقوم بهذه التمثيلية أمامهما ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

رسم تعبيرات الدهشة على وجهه ببراعة وقال :

ـ أنا !

ـ نعم .. استأجرت (سهير) واستأجرت (زناتى) أيضًا .

صاحت حماتى قائلة :

ـ ما هذا ؟ ومن هؤلاء ؟

يبدو أنها لا تستطيع تصديق ما أقوله .. أما (نادين) فكان لديها الاستعداد للتصديق لذا قالت بسعادة :

ـ أحقًا ما تقول ؟

ـ نعم يا (نادين) .. لقد خطط (أسامة) لكل هذا .

قال (أسامة) محتجًا :

ـ لا تصدقاه .. إنه يكذب .

هنا اضطررت لإخراج المسدس لإجباره على الاعتراف بجريمته .

وهكذا تطورت الأحداث ..

تطورًا لم أتوقعه أبدًا .

* * *

اعترف (أسامة) بكل شيء تحت التهديد ..

اعترف وذكر تفاصيل لم أكن أعلمها .. أثبت لحماتى وابنتها أننى برىء من تهمة الخيانة .. كان خائفًا من المسدس لدرجة أنى توقعت أن يعترف أنه الذى صدم (نادين) مع العلم أنه لم يفعل ذلك .. ولكن المسدس كان له تأثير فعال عليه .. لذا توقعت أن يعترف بأى شيء .

وبرغم اعترافاته المثيرة .. وبرغم صدور حكم البراءة لى من جهة حماتى و (نادين) .. إلا أننى لم أترك المسدس ..

ظللت أهدد (أسامة) به لأذيقه الرعب بشتى ألوانه انتقامًا منه .. ولأمنعه من محاولة العبث معى مجددًا .

أوحيت له أنى سأقتله .. انتقامًا منه بسبب تلويث سمعتى وتدمير مستقبلى .. بالرغم من ثقتى القوية أن سمعتى لم تمس بشيء .. لأن (لؤى) قد وعدنى .

لكنى أوحيت له أن سمعتى قد تلوثت بسبب فعلته .. و ظللت ألوح بالمسدس مرارًا و تكرارًا ..

ولم أتوقع أن يتطور الموقف بسرعة رهيبة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وجدت حماتى تقف أمام (أسامة) لتحميه بجسدها من مسدسى .. ثم وقفت (نادين) أمامها لتحميها .. ثم فوجئت بأمها تقف أمامها لتحميها .. ثم عادت (نادين) لتقف أمام أمها .. ثم عادت أمها لتقف أمامها ..

الأمر كان مملاً ..

لكنه تحول إلى مشهد دموى فى لحظة واحدة ..

انطلقت رصاصة لتصيب جسد حماتى .. لتسقط صريعة فى الحال ..

(أسامة) يطلب الشرطة ..

(نادين) تبكى وهى تحتضن جسد أمها الميتة .. وتقول لى بصوت دامع :

ـ أنا أكرهك .. أكرهك .. أكرهك .

الجيران يضربون الباب بعنف ويصيحون لكى يدخلوا ويعرفوا سبب صوت الرصاص ..

جملة (أسامة) تتردد فى أذنى :

« لقد انتهيت يا دكتور » .

وكان محقًا ..

نعم .. انتهيت(*) .

* * *

اقتحم الجيران الشقة ..

المشهد لا يحتاج إلى توضيح .. لقد رأى الجيران حماتى مقتولة .. و (أسامة) يمسك سماعة الهاتف .. وأنا أقف مذهولاً ..

من البديهى أن أكون القاتل .. وهكذا هجموا علىّ .. لم ينتظروا صيحة (أسامة) :

ـ أمسكوه .. لا تدعوه يهرب .. الشرطة فى الطريق .

الرصاصة لم تخرج من مسدسى .. لأننى متأكد أنى أفرغته من الرصاصات قبل مجيئى .

هل كانت هناك رصاصة لم أعلم بوجودها ؟

لكنى لم أشعر بأى تأثير للمسدس على يدى عند انطلاق الرصاصة وهذا يعنى أن الرصاصة انطلقت من مسدس آخر .

لكن لا يوجد وقت للشرح الآن .. لابد أن أهرب .

دخلت إحدى الغرف .. وأغلقت بابها بالمفتاح واتجهت للنافذة ..

(*) هذا هو المشهد الموجود فى الفصل الأول من الرواية .

Looloo
www.dvd4arab.com

هل سأستطيع الهرب من خلالها ؟

توالت الطرقات على باب الغرفة ..

فتحت النافذة ..

قلبى يخفق بشدة ..

انفتح الباب وظهر (أسامة) ومعه الجيران .

نظرت من النافذة لأرى هل سأستطيع الهرب من خلالها أم لا .

لكنى لمحت بطرف عينى ذلك الرجل الذى يقف على الإفريز ويحمل مسدسًا فى يده .

إنه القاتل بكل تأكيد ..

قلت للجيران وأنا أشير نحو النافذة :

- ها هو القاتل الحقيقى .. إنه بالخارج .

ذهب البعض ليتأكد من صدق كلامى .. فرأوه .

تطوع الجميع للإمساك بالمجرم .. ذهب بعضهم للشقة المجاورة لمحاصرته .. قام البعض بإلهائه حتى يتمكن الفريق الآخر من إسقاط المسدس من يده ..

أطلق المجرم بعض الرصاصات ليخيفهم .. حتى نفذت ذخيرة مسدسه .

فى النهاية تم القبض عليه .. متلبسًا بسلاح الجريمة .. والجميع شاهد على ذلك .

وتمت تبرئتى فى نفس وقت إدانتى .

عرفت من همسات الجيران أن القاتل كان يريد قتل (أسامة) ولكن الرصاصة أصابت حماتى .

المشكلة أن (نادين) مازالت ترانى سببًا فيما حدث لأمها ..

إنها تكرهنى ..

وتكره (أسامة) لأنه كان المقصود .

ربما كان مقتل أمها أمامها سببًا فى حالتها السيئة .. لقد أصبحت تكره الجميع .

لقد صارت يتيمة الأم وعليها الآن تربية إخوتها لحين عودة أبيها من الخارج .

حاولت محادثتها لكنها لم تعد تطيق سماع صوتى ..

لم تعد تطيق رؤية وجهى ..

لقد انتهت قصة حبى ..

انتهت للأبد .

Looloo
www.dvd4arab.com

* * *

17 - وبدأ الغموض ..

المكان :شقتى الزمان : الثانية ظهرًا

استيقظت من نومى .. وجدت المسدس بجوارى على الفراش يبدو أننى وقعت فى نوم عميق ونسيت وضعه فى درج المكتب ..

تذكرت كل أحداث الأمس واليوم وتمنيت أن يكون ما رأيته حلمًا ، و لكنه - للأسف - واقع مرير .. لقد ماتت حماتى ولن أعود لـ (نادين) أبدًا .

خبأت المسدس بجوار أخيه فى درج المكتب ثم أغلقته جيدًا .

آاه .. ذراعى يؤلمنى بشدة .. و أكتافى أيضًا .. و أنحاء عديدة من جسدى .

ما زال صراعى مع (زناتى) له بعض الآثار .. كتفى لا يزال يؤلمنى بسبب دفعى لباب شقة جارتى مرات عديدة عندما كنت أحاول إنقاذها من عدو وهمى وهى لم تكن تحتاج إلى إنقاذ .

ما الذى كان سيحدث لو ظللت نائمًا ولم أهتم بشجارها المفتعل مع ذلك الكومبارس ؟ .. هل كانت ستطرق بابى لتطلب إنقاذها ؟ هل كانت ستطرق بابى طلبًا للمبيت عندى ؟ .. أعتقد أننى

ساعدتهم كثيرًا فى تنفيذ خطتهم .. وخاصة عندما وافقت على مبيتها فى شقتى وكأنه لا يوجد حل آخر غير هذا ..

وبدأت الحلول العبقرية تظهر لى الآن .. وتنهمر على عقلى كالمطر .

لماذا لم أفكر أن تبيت عند أحد الجيران ؟ مثلاً : عائلة الأستاذ (عبد القادر) .. عائلة محترمة جدًا .. لا حرج من مبيتها عندهم .. سيوفروا لها سريرًا بمفردها أو تنام مع (فوزية) ابنتهم فى سريرها .

أو تبيت عند أى عائلة أخرى من سكان العمارة .. أذهب إليهم وأطلب منهم أن يستضيفوها عندهم هذه الليلة فقط .. وأخبرهم أن لديها شقة هنا ولكنها تخشى المبيت بمفردها .. وأن أخيها سوف يسكن معها ولكنه لم يصل بعد .

ربما أدعى أنها قريبتى حتى لا أثير التساؤلات حول علاقتى بها وسر اهتمامى الشديد بها .. وهناك حل آخر ..

فندق محترم .. أحجز لها غرفة وهناك ستكون مطمئنة عليها ..

فماذا كانت ستقول (سهير) وقتها أمام هذه الحلول ؟ أعتقد

www.dvd4arab.com

أنها كانت ستحاول الرفض بأى حجة حتى تكمل تنفيذ الخطة اللعينة .

* * *

خرجت من شقتى .. نظرت إلى شقة جارتى .. فوجئت بشىء غريب للغاية .

لمحت لافتة كُتب عليها بحروف كبيرة ..

عيادة د . (ريهام بهجت) للطب النفسى .

كيف ؟ .. متى حدث هذا ؟

هل تم استئجار الشقة فى أقل من أربعة وعشرين ساعة ؟

طرقت الباب فلم يرد أحد ..

هبطت الدرج حتى وصلت لغرفة البواب .. وهناك سألته فأجابنى :

ـ نعم يا دكتور .. تم استئجار هذه الشقة لتكون عيادة .

ـ متى ؟ لقد كانت (سهير) تسكنها بالأمس فهل استأجرتها لمدة يوم واحد ؟

سألنى مندهشًا :

ـ (سهير) من ؟

ربما استأجرتها باسم آخر .. ربما (سهير) ليس اسمها الحقيقى .. قلت له :

ـ أقصد الشابة التى كانت تسكن هذه الشقة بالأمس .. أنا أعرفها باسم (سهير) .

ـ د . (ياسين) .. هذه الشقة استأجرتها د . (ريهام) منذ زمن .. ولكنها لم تضع اللافتة إلا اليوم .. ولقد أخبرتك من قبل أن هذه الشقة قد تم استئجارها .

ـ نعم .. لقد أخبرتنى بذلك ولكنك لم تخبرنى من الذى استأجرها .. لذا اعتقدت أنها تلك الشابة التى رأيتها فيها بالأمس .

ـ وماذا كان اسمها ؟

ـ (سهير) .

ابتسم قائلًا :

ـ إنها الدكتورة (ريهام) .. يبدو أنها كانت تمزح معك حين أخبرتك أن اسمها (سهير) .

ـ التى رأيتها بالأمس ليست طبيبة نفسية .. كومبارس .

Looloo www.dvd4arab.com

ضحك البواب قائلاً :

ـ كوميارس ! .. أنا لا أعلم من التى رأيتها ، لكن د . (ريهام) ليست ممثلة .. بل طبيبة نفسية .. مثلك بالضبط يا دكتور .

ـ لقد رأيتها فى الشقة وكانت ترتب أثاثها فيها .. لذا أعتقد أنها صاحبة الشقة .

قال مندهشًا :

ـ أى أثاث ؟! .. إن الشقة ليس بها سوى مقاعد للانتظار .. ومكتبان .. وشيزلونج ومكتبة .. وأشياء بسيطة أخرى .. إنها عيادة كعيادتك يا دكتور .

سألته بغيظ :

ـ ومتى أخفيتم .. أقصد .. ومتى نقلتم الأثاث الذى رأيته بالأمس فيها ؟ الدولاب والسرير والثلاجة والـ ...

نظر البواب لى وقال متعجبًا :

ـ هل أنت متأكد أننا نتحدث عن نفس الشقة ؟

وصعدنا إلى شقة جارتى ..

قلت للبواب وأنا أشير بإصبعى :

ـ أنا أقصد هذه الشقة .

نظر لى البواب متعجبًا وقال :

ـ هل تعنى أنك رأيت هذه الشقة من الداخل بالأمس وكان بها سرير وثلاجة و ..

قاطعته قائلاً :

ـ نعم .. والتى كانت تسكنها اسمها (سهير) .

فكر البواب قليلاً ثم قال لى مبتسمًا :

ـ هل هذه دعابة منك يا دكتور ؟ .. هل تمزح معى ؟

ـ لا .

شعر البواب أننى لا أمزح فتعجب أكثر .. لكنى قلت له :

ـ كنت أود أن أسألك أيضًا : هل تمزح معى ؟

ـ لا .. أبدًا .

شعرت بخيبة الأمل .. كنت أتمنى أن يقول نعم .. أمزح .. قلت له :

ـ حسنًا .. كيف سنتأكد ؟

وضع يده فى جيب جلبابه وقال :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ بسيطة .. مازال مفتاح العيادة معى .

وأخرج يده وبها المفتاح .. سألته متعجبًا :

ـ هل معك مفاتيح لكل شقق العمارة ؟

ـ لا .

إجابة غير كافية .. فربما معه مفاتيح بعض الشقق .. وربما معه مفاتيح كل الشقق إلا شقة واحدة لذا قال لا .. فسألته السؤال الأهم :

ـ هل معك مفتاح لشقتى ؟

وانفتح الباب ..

لم أهتم بإجابة سؤالى فلقد شغل تفكيرى ما رأيته أمامى .. لقد كانت عيادة بالفعل ..

أين ذهب الأثاث الذى كان موجودًا هنا بالأمس ؟

ومتى وُضع هذا الأثاث الجديد ؟ ومتى تم تنظيمه ؟

* * *

طردت موضوع العيادة الغامض من تفكيرى وذهبت إلى عزاء حماتى .. لكن هناك واجهت أمرًا غامضًا آخر .

لم أجد أى عزاء ..

وعندما سألت الجيران لم أجد أحدًا يعلم بموضوع العزاء .

كيف هذا ؟!

كنت أعتقد أن الجميع يعلم بالأمر .. لقد حدثت جريمة قتل .. إذا لم يكونوا سمعوا عن العزاء فبالتأكيد سمعوا عن جريمة القتل .. هذه الأخبار الشنيعة تنتشر بسرعة .

فإذا كان الجيران يخبرونني أنهم لا يعلموا شيئًا فبالتأكيد هناك سر ..

سر لهذا التكتم .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

18 ـ حالة (سهير) ..

لم أشأ الصعود إلى (نادين) .. لا أريد أن أراها الآن .. ستكون فى حالة سيئة جداً بسبب موت أمها .. وربما لا تزال تكرهنى .

الوقت ليس مناسبًا الآن .

ذهبت إلى عيادتى .. لأتابع حياتى وأحاول نسيان ما حدث .

أجلس لأستمع إلى المرضى ويستمعون لى وأحيانًا لا يستمعون

انتهيت من حالتين وجاء دور الحالة الثالثة .. سألت (وائل) الممرض عن المريض التالى فأخبرنى باسمها ..

لم أصدق نفسى .. هل من الممكن أن تكون هى ؟

أم إنه مجرد تشابه أسماء ؟

وبعد ثوانٍ معدودة دخلت وتأكدت أنها هى .. سلمت عليها وقلت :

ـ كيف حالك يا (سهير) ؟

* * *

« أليس غريبًا أن تأتى لعيادتى مرة أخرى ؟ »

سألت (سهير) هذا السؤال .. فأجابتنى ببساطة :

ـ ليس غريبًا .. لقد جئت لكى نستكمل الجلسة .

ضحكت قائلاً :

ـ الجلسة ! .. آه .. تذكرت .. تقصدين مشكلتك مع صديقتك .

ـ بالضبط .. المشكلة يا دكتور أنها تريدنى أن ...

قاطعتها قائلاً :

ـ هل يمكن أن أسألكِ سؤالاً ؟

ـ تفضل يا دكتور .

ـ كيف دخلت شقتك بالأمس ؟

ضحكت قائلة :

ـ سؤال غريب .

لمحت نظرات الجدية على وجهى بمعنى أنا لا أمزح .. فأجابت :

ـ دخلتها بقدمى اليمنى .. هل هذه هى الإجابة التى تريدها ؟

ـ لا .. أقصد : هل فتحت بابها بالمفتاح ؟ أم إنك استخدمت آلة حادة لفتحه ؟ أم تسللت للشقة .. من نافذة المطبخ مثلاً ؟

ـ طبعًا فتحت الباب بالمفتاح .

ـ وكيف حصلتِ على المفتاح ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ما هذا السؤال ؟! وما علاقة هذا بمشكلتى مع صديقتى ؟

ـ أجيبى السؤال من فضلك .

زفرت بضيق وقالت :

ـ المفتاح معى دائمًا لأنها شقتى .

ـ هل هى شقتك فعلاً ؟

ضحكت مرة أخرى وقالت :

ـ ما هذا السؤال الغريب ؟! هل تسألنى عن شقتى هل هى شقتى أم لا ؟.. طبعًا شقتى .

ـ وطالما أنها شقتك .. كيف تحولت اليوم إلى عيادة ؟

ظهرت عليها الدهشة وقالت :

ـ عيادة !!

ثم تابعت ضاحكة :

ـ دكتور .. أنا الآن فى عيادتك ولست فى شقتى .. ما هذه الأسئلة الغريبة ؟! هل تختبر قواى العقلية ؟

ـ لا .. ولكن شقتك تحولت إلى عيادة بالفعل .

أجابت بعناد :

ـ لا .. شقتى لم تتحول إلى عيادة .

ـ بل تحولت .

قالت مبتسمة :

ـ هل تظن أن شقتى تحولت إلى عيادة دون أن أدرى ؟ هل ترانى مجنونة ؟

ـ أنا أعلم جيدًا أنك بكامل قواك العقلية .. ولكنى أود أن أسأل : هل استأجرت العيادة لمدة يوم واحد ؟

صاحت مندهشة :

ـ هل تريد منى أن أستأجر عيادتك لمدة يوم واحد ؟

ـ لا .. أنا لا أتحدث عن عيادتى .. أنا أتحدث عن شقتك .

ـ ولماذا تهتم بشقتى يا دكتور ؟ هل تريد استئجارها لتكون عيادة لمدة يوم واحد ؟

ـ لا .. أنا أسأل فقط كيف تحولت شقتك إلى عيادة ؟ .

قاطعتنى قائلة :

ـ شقتى لم تتحول إلى عيادة .

ثم توقفت للحظة وقالت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أشعر أن هذه الجملة قلتها من قبل .. هذا الحوار مكرر .. هل هذه حالة (تشافاچا) يا دكتور ؟

ـ انسى الـ (ديجا فو) الآن .. وركزى معى .. أنا لا أقصد الشقة التى تعيشين فيها الآن .. أنا أقصد الشقة التى كنتى فيها بالأمس .

ضحكت قائلة :

ـ الشقة التى أعيش فيها الآن هى نفسها الشقة التى كنت فيها بالأمس .

قلت مندهشًا :

ـ ما هذا ؟! هل تأكلين وتشربين وتنامين فى العيادة ؟

ضحكت قائلة :

ـ أنام فى العيادة ! .. لماذا يا دكتور ؟! أنا لا أحب العيادات أصلاً .. ما الذى يجعلنى أترك شقتى لأنام فى عيادة ؟!

ـ أنت قلتِ هذا .. لقد قلت أن الشقة التى كنتِ فيها بالأمس هى الشقة التى تعيشين فيها .

ـ نعم .

ـ حسنًا .. هذه الشقة قد صارت عيادة الآن .

ـ من قال هذا ؟!

ـ أنا .

ـ وهل تعرف شقتى ؟

ـ طبعًا .. وأراها كل يوم .

سألتنى متعجبة :

ـ كيف تراها كل يوم ؟

ـ هذا شىء طبيعى .. لأنها الشقة المواجهة لشقتى .

ـ يبدو أنك لا تعرف شقتى يا دكتور .. لأن شقتى لا تواجهها أى شقق .. إنها شقة وحيدة فى الطابق .

ـ هل لديك شقة أخرى غير الشقة التى رأيتك فيها بالأمس ؟

قالت منزعجة :

ـ رأيتنى فيها !! .. كيف ؟ .. هل تراقبنى ؟

ـ لا .. لقد قابلتك فيها وتحدثنا .

قالت متعجبة :

ـ أنا قابلتك وتحدثت معك .. هنا فى العيادة .. ثقة ..

يبدو أنها تعانى من النسيان .. ذاكرتها ضعيفة جدًا ..

Looloo www.dvd4arab.com

أو أنها تريد نسيان أحداث الليلة الماضية وحياتها السابقة .. ويبدو أنها قد نستها بالفعل .

قلت لها :

ـ أنا أقصد الشقة التى كنت فيها ليلة أمس قبل أن تأتى لسعدى .

صاحت مستنكرة :

ـ ولماذا آتى إلى شقتك ؟!

ـ لكى أنقذك من (زناتى) .

ـ (زناتى) من ؟!

ـ (زناتى) طليقك .

ضحكت قائلة :

ـ طليقى ! .. كيف يكون طليقى وأنا لم أتزوج بعد ؟!

ـ أقصد .. الذى ادعيت أنه طليقك .

قالت بغضب :

ـ ولماذا أدعى أنه طليقى ؟

ـ لكى تطلبى منى المبيت عندى .

قالت متعجبة :

ـ ماذا ؟

ـ وبالفعل قضيت ليلة أمس كلها عندى .

صاحت بغضب :

ـ ما هذا ؟! أنا لم أنم فى شقتك أبدًا .. و ليلة أمس نمت فى شقتى ككل ليلة .

هل فقدت جزءًا من ذاكرتها ؟ أم إنها تكذب ؟ ولماذا تكذب ؟ لماذا تنكر كل شىء .. هل نسيت بالفعل ؟ أم إنها تدعى الجنون ؟ أم تريد العبث بعقلى ودفعى للجنون ؟

قلت لها وأنا متأكد من كل كلمة أقولها :

ـ لا .. بل نمت فى شقتى .. وفى غرفة نومى .

صاحت بغضب أكثر :

ـ لا .. لا .. أنا لا أسمح لك .

ـ بل وفى سريرى .

صاحت بغضب أكثر من ذى قبل :

ـ لا .. لقد تجاوزت حدودك يا دكتور

ـ ولم تنامى وحدك .. كنت نائمًا معك فى السرير طول الليل ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قاطعتنى قائلة بكل الغضب الذى تملكه :

ـ سأنصرف .. حتى لا أسمع كلمة أخرى منك .. أنت مجنون .. بالتأكيد مجنون .

صحت مندهشًا :

ـ أنا المجنون !!

نهضت من مكانها وخرجت من الغرفة وهى تصيح بطريقة جنونية :

ـ أنت مجنون .. مجنون .. وسيئ الخلق .. سوف أبلغ عنك نقابة الأطباء .

سمعها جميع المرضى الجالسين فى الصالة المنتظرين دورهم .. فانزعجوا بشدة .

انتظرت خروجها .. ثم قلت لهم بهدوء شديد :

ـ لا تهتموا بما قالته .. إنها مجنونة .. هذه الحالات أراها يوميًا .

* * *

19 ـ حالة (نادين) ..

تعجبت من تصرف (سهير) .. لماذا تنكر ما حدث ؟ لماذا تكذب ؟

أم إنها قد نسيت ما حدث ؟

أم إنها تعانى من الانفصام .. لديها شخصيتين .. (سهير) المستهترة التى تفرط فى أى شىء من أجل المال و .. (سهير) الشريفة التى تحافظ على شرفها وسمعتها .

أم إنها تمثل ؟ فهى تجيد التمثيل .. لكن لماذا تمثل الآن ؟ هل هناك خطة جديدة ؟

فكرت ..

وفكرت ..

حاولت البحث عن أفضل تفسير لتصرفها الغريب .. لكنى لم أنجح فى المحاولة وازددت حيرة .

الأمر غامض بالفعل .

* * *

دق جرس الهاتف فى عيادتى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

- آلو ..

المفاجأة أن (نادين) هى المتصلة ..

لم أصدق نفسى .. لقد توقعت أنها لن تحدثنى قبل مرور نصف أو ربع قرن على الأقل .

- (نادين) !

- كيف حالك يا (ياسين) ؟

- الحمد لله .. بخير .. كيف حالك أنتِ ؟

- مكتئبة .. الحياة أصبحت ..

قاطعتها قائلاً :

- (نادين) .. أرجوكِ .. اخرجى من هذا الجو .. لا تدعى الاكتئاب يهزمكِ .. وإلا صرت أحد زبائنى .

- أنا مكتئبة جدًا .. وأحتاج إلى طبيب نفسى بالفعل .. أحتاج إليك يا (ياسين) .

- سأزوركِ اليوم إن شاء الله لأطمئن عليكِ .

- لا .

- حسنًا .. سأزورك غدًا .

- لا تفعل .. إن أمى سوف تمنعك .

أمها ! .. أمها ماتت .. فكيف ستمنعنى ؟ ما الذى حدث لعقل هذا الملاك البرىء ؟

- (نادين) .. حبيبتى .. أخبرينى كيف ستمنعنى أمك .

- سوف تبلغ الشرطة إذا رأتك أمامها .

- وكيف ستبلغ الشرطة ؟

- بالهاتف .

ثم فوجئت بها تهمس بتوتر :

- لقد سمعت صوتها .. يبدو أن أمى قد استيقظت .. ستغضب منى إذا علمت أنى اتصلت بك .. سأضطر لإنهاء المكالمة الآن .. .. سوف أتصل بك عندما تنام .

- أمك استيقظت .. كيف تستيقظ وهى ميـ ...

قاطعنى صوتها العالى ...

- نعم يا ماما .. سآتى حالاً .

سألتها مندهشًا :

- إلى من تتحدثين ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت هامسة :

ـ ماما .. . يبدو أنها تحتاج شيئًا .

تتحدث إلى أمها ! .. يبدو أن الأمر أخطر مما كنت أتصور .. الموضوع ليس اكتئاب فقط ..

إن (نادين) بسبب تعلقها الشديد بأمها لم تقبل حقيقة موتها .. أصبحت تراها .. تتخيل أنها مازالت حية ترزق .. تتخيل أنها تراها وتسمعها وتتحدث إليها ..

ـ (ياسين) .. أرجوك .. فكر بهدوء وابحث عن حل لمشكلتنا .

صحت منزعجًا :

ـ مشكلتنا ! أى مشكلة ؟

يبدو أنها لم تسمعنى لأنها قالت :

ـ إلى اللقاء .

ثم سمعتها تقول بصوت عال :

ـ حاضر يا ماما .

* * *

(نادين)

ملاكى البرىء !

يبدو أن حالتها تدهورت جدًا بسبب موت والدتها .. أصبحت تعانى من هلاوس بصرية وسمعية .

فكرت فى الذهاب إلى العزاء مرة أخرى .. ربما هذه المرة أجد عزاء ..

و فى نفس الوقت لكى أطمئن على (نادين) ..

لن أسأل أحدًا من الجيران هذه المرة .. سوف أصعد بنفسى إلى شقتها وأسأل ..

لكنى عندما وصلت إلى هناك لم أحتج إلى الصعود ولم أحتج إلى سؤال أحد ..

لقد رأيت الإجابة أمامى .. إجابة السؤال الغامض لماذا لا يوجد عزاء ؟

الإجابة ببساطة : لأنه لا يوجد ميت .

لقد رأيت حماتى .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

20 ـ حالة (لؤى) ..

لقد رأيت حماتى .. كانت تسير فى الشارع .. حماتى مازالت حية ترزق .

الآن عرفت أن (نادين) لم تجن .. لقد كانت تتحدث إلى أمها بالفعل ..

لم يكن هناك عزاء لأن حماتى لم تمت .

ولكنى رأيتها ميتة اليوم .. ماتت بين ذراعى ابنتها .

هل ما رأيته كان حلمًا ؟ ربما ..

ولكن ..

ما تفسير وجود المسدس بجوارى على الفراش ؟ هل فكرت فى استخدامه لكنى لم أستخدمه ؟ هل وجوده فى يدى جعلنى أحلم أنى استخدمته ؟

حسنًا .. إذا افترضنا أن موتها كان حلمًا فهل كانت زيارتهم لى حلمًا أيضًا ؟

لا .. والدليل : المسدس .

فأنا فكرت فى استخدامه من أجل تهديد (أسامة) للاعتراف

بخطة الزيارة المفاجئة واستخدامه (سهير) كسلاح أنثوى لتدمير سمعتى ومستقبلى .

لكن ..

(سهير) ـ أثناء الجلسة الثانية ـ اعتبرتنى مجنونًا لأنى تحدثت عن أشياء لم تحدث .

فهل ميتها عندى كان حلمًا أيضًا ؟

وماذا عن شقتها ؟ أليست شقتها حقًا ؟ فإذا افترضنا أنها ليست شقتها وأنها لم تكن جارتى أبدًا .. فما تفسير آلام كتفى ؟ من التى حاولت إنقاذها بالأمس ودفعت باب شقتها بكتفى ؟

وماذا عن بقية الإصابات التى نتجت عن صراعى مع (زناتى) ؟ ما تفسيرها ؟

لقد أنكرت (سهير) معرفتها بشخص يدعى (زناتى) .. فإذا افترضنا أن حديثها صادقًا فهذا يعنى أنى لم أتعارك مع أحد من أجلها ..

كيف ؟!

أنا متأكد أنى رأيت كل هذا فى الواقع .. لم يكن حلمًا أبدًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

فإذا كان ما رأيته لم يحدث .. فأنا بالتأكيد ..

مجنون .

مجنون حتمًا .

* * *

ذهبت إلى شقتى طلبًا للراحة ..

راحة العقل قبل راحة الجسد .

وقبل الصعود إلى شقتى .. تذكرت (لؤى) جارى .. الذى جاءنى يشكو من ألم فى بطنه .. سوف أسأله وسأعرف هل كان عندى بالأمس أم لا ..

هل كنت أحلم أم لا ؟

بعد الترحيب .. قال (لؤى) :

ـ شكرًا يا دكتور .. الدواء الذى كتبته لى كان رائعًا .

سعدت جدًا بجملته .. هذا يعنى أن زيارته لى لم تكن حلمًا .. سألته :

ـ حقًا ؟

ـ نعم .. وكنت أنوى زيارتك لأشكرك .

ـ لا عليك .. الجيران لبعضها .

ـ نعم .. وأنت أفضل جار .

انتظرت قليلاً ثم قلت له :

ـ كنت أريد التحدث معك فى موضوع .

ـ تفضل يا دكتور .

ـ بالنسبة لما رأيته بالأمس .. لم يحدث شيئًا مما خطر فى بالك .. ولم يكن هناك أى شىء أصلاً .. لقد رأيت وفهمت الموضوع بطريقة خاطئة .. هذه الملابس كانت تخص ..

قاطعنى قائلاً :

ـ أى ملابس ؟

ـ التى رأيتها عندما زرتنى .

ـ دكتور .. أنا لا أعلم شيئًا عن هذه الملابس التى تتحدث عنها .. ولا أفهم ما الذى يخصنى فى أمرها .

ـ كنت أريد توضيح الأمر لك .

ـ أى أمر ؟

ـ لقد رأيت الملابس .. وفهمت الموضوع بطريقة خاطئة لذا أردت أن ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنا لم أر شيئًا يمكن أن أفهمه بطريقة خاطئة .

يبدو أن (لؤى) ينفذ وعده لى .. وعده بأنه لن يبوح بما رآه لأحد .. يعتقد أنه بهذا الحديث يثبت رجولته وشهامته فى التستر علىَ .

ـ (لؤى) .. إن كنت تعتقد أننى أختبرك لأتأكد من وعدك لى فأنت مخطئ .

ـ أى وعد ؟

ـ الوعد الذى وعدته لى بالأمس عندما ..

قاطعنى قائلاً :

ـ د . (ياسين) .. أود أن أصحح لك معلومة بسيطة أعتقد أنك تعرفها .

ـ وما هى ؟

ـ أنا لم أزرك بالأمس .

ـ ماذا ؟

ـ زيارتى لك .. كانت منذ أسبوع مضى .

* * *

لا أعلم لماذا ينكر (لؤى) أنه زارنى بالأمس ..

لماذا يكذب ؟

على أى حال .. هو لم ينكر زيارته لى وهذا شىء جميل .. لكن مسألة التوقيت شىء محير .

أنا متأكد أن زيارته لى كانت بالأمس وهو يؤكد لى أن زيارته كانت منذ أسبوع .. لو أنه زارنى منذ أسبوع فبالتأكيد لم يلمح ثياب (سهير) لأن (سهير) كانت عندى بالأمس فقط .

ثم تذكرت (مرسى) ..

جارى الثانى الذى زارنى ليلة أمس وطلب منى أنبوبة البوتوجاز ولم أعطها له حرصًا على سمعتى .. خشيت أن يلمح (سهير) فى أى لحظة .

سوف أذهب إليه الآن ومعى أنبوبة البوتوجاز ..

وسأعرف منه الحقيقة هل زارنى بالأمس أم إننى كنت أحلم ؟

* * *

لم يتوقع (مرسى) أن أصعد له حاملاً أنبوبة بوتوجاز .. قال :

ـ معقول يا دكتور ! حملت الأنبوبة بنفسك وصعدت بها إلى ..

www.dvd4arab.com

كان يكفى أن تخبرنى وكنت سأ ...

ابتسمت ابتسامة هادئة وقاطعته قائلاً :

ـ الجيران لبعضها .. وأنا لا أحتاجها الآن .

ـ هل أنت متأكد أنك لا تحتاجها ؟

ـ نعم .

بالتأكيد لا أحتاجها .. لدىَّ اثنان غيرها .. ولكنى لن أخبره بذلك طبعًا .. ثم سألته :

ـ أنت طلبتها منى بالأمس .. أليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ هل أنت متأكد ؟

ـ نعم .

(لؤى) و (مرسى) رأيتهما بالأمس .. الأول يقول أن هذا كان منذ أسبوع مضى .. والثانى يقول أنه كان بالأمس ..

عقلى سينفجر .. الأمور تزداد غموضًا .

ما رأيته و عشته .. هل حدث فعلاً أم لم يحدث ؟ هل كان حقيقة أم حلم ؟

أحتاج إلى الاسترخاء ..

أحتاج إلى التحدث ..

أحتاج إلى طبيب نفسى ..

وبينما كنت عائدًا إلى شقتى وجدت العيادة مفتوحة .. العيادة التى بالشقة المواجهة لشقتى .

نظرت بداخلها وجدت ممرضة تجلس خلف مكتبها فى الصالة ..

فكرت أن أدخل ..

سأجرب .. لم لا ؟

لا يوجد زبائن فى العيادة .. لن يرانى أحد .. وإذا رآنى أحد سأقول أننى جئت أسلم على د . (ريهام) .. جارتى .. وأهنئها على افتتاح العيادة .

ودخلت ..

سألتنى الممرضة :

ـ الاسم ؟

ـ هل الدكتورة موجودة ؟

ـ نعم .. اسمك ؟

ـ هل عندها مريض الآن ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا .. اسمك ؟

طبعًا لن أخبرها باسمى .. قلت لها :

ـ (شكرى سليمان) .

أول اسم خطر على بالى .. قلته بسرعة .. يجب ألا أتأخر فى الرد حتى لا تشك أنى اخترعت الاسم ..

(شكرى سليمان) .. ما هذا الاسم ؟! لماذا خطر ببالى ؟ .. هل أعرف أحدًا بهذا الاسم ؟

وقفت الممرضة و قالت لى :

ـ تفضل .

سبقتنى إلى الداخل ثم دعتنى للدخول .. دخلت الغرفة فلم أجد أحدًا سواها .. لا أعلم لماذا كذبت علىّ وأخبرتنى أن الطبيبة موجودة .. سألتها :

ـ أين الدكتورة ؟

رأيتها تتجه إلى المكتب و تجلس خلفه و تقول :

ـ هنا .. أمامك .

وفى هذه اللحظة أدركت أنها لم تكن تكذب .

* * *

21 ـ حالة (شكرى) ..

قالت د . (ريهام) :

ـ أهلاً بك فى عيادتى .

ـ أهلاً بك .

ثم تأملت وجهها .. بدا مألوفًا لى .. قلت لها :

ـ هل تقابلنا من قبل ؟

ـ لا أظن .

يبدو أنى أمر بحالة (ديجا فو) .. قلت لها :

ـ أنت الممرضة والطبيبة ؟

ـ نعم .. فالعيادة كما ترى مفتوحة حديثًا .. ليس بها أى مرضى تقريبًا .. لذا لا أحتاج إلى ممرضة فى الوقت الحالى .

ـ ربنا يوفقك و تجدى العيادة مزدحمة قريبًا .

تأملت الغرفة .. جميلة .. مريحة .. تدعو للاسترخاء فعلاً ..

ليست هذه هى المرة الأولى التى أدخل فيها عيادة طبيب نفسى .. فقد دخلت هذه العيادات كثيرًا لأن الأطباء النفسيين أصدقائى .. زملاء مهنة .. ومن الطبيعى أن تذهب لزيارة بعضنا

Loolod www.al-mostafa.com

بين الحين و الآخر .

وبالرغم من تعودى على دخول مثل هذه العيادات وبالرغم من كونى أذهب لعيادتى كل يوم .. إلا أننى شعرت بشعور غير طبيعى وأنا أجلس فى هذه العيادة ..

شعور غريب جداً ..

أعتقد أن التفسير الوحيد هو :

فى كل المرات السابقة كنت أدخل مثل هذه العيادات وأنا طبيب نفسى .. لكن هذه هى المرة الأولى لى وأنا مريض نفسى .

قالت لى :

ـ تفضل .. أخبرنى ما هى مشكلتك .

أشرت إلى الشيزلونج وسألتها متعجبًا :

ـ ألن أسترخى على الشيزلونج ؟

ابتسمت قائلة :

ـ كما يعجبك .

ذهبت إليه سعيدًا لا أعرف لماذا .. يبدو أن جسدى منهك ويحتاج إلى الراحة .. استرخيت عليه .. شعرت ببعض الراحة .. لكن ..

بعد ثوانٍ معدودة .. شعرت ببعض الغرابة والخوف .. فقمت بسرعة وقلت :

ـ لا .. المقعد أفضل .

يبدو أنى خشيت أن أتحول بالفعل إلى مريض نفسى .

سألتنى :

ـ ما هى مشكلتك ؟

ـ ألن تكتبى ما أقوله ؟

ـ لا تقلق .. ذاكرتى تعمل بصورة جيدة .. وأنت أول مريض يدخل عيادى .. فلا داعى للقلق .. لن أخلط بينك وبين شخص آخر .

أنا أول مريض عندها .. يا للسخرية .. أول مريض عندها هو جارها الطبيب النفسى .

أعتقد أنها سوف تتذكر هذه الجلسة جيدًا طوال حياتها .. ليس لأنها جلستها الأولى مع أول مريض ولكن لأنها كانت جلسة مع مريض / طبيب نفسى .. وسوف تتذكرها كلما رأتنى خارجًا من شقتى ..

أعتقد أن فكرة الانتقال فكرة لا بأس بها .. سوف أبحث عن

Looloo
www.dvd4arab.com

شقة جديدة بعد خروجى من هذه الجلسة .

كررت سؤالها فقلت :

ـ مشكلتى أن هناك أشياء حدثت .. اكتشفت أنها لم تحدث .

وحكيت لها كل شىء ...

ومن البداية .

* * *

« أستاذ شكرى »

قالتها د . (ريهام) فالتفت حولى لأرى الأستاذ (شكرى) .. لكنى لم أجده .. فتذكرت أن هذا هو اسمى المستعار خلال هذه الجلسة .. إنها تخاطبنى .. لذا قلت بسرعة :

ـ نعم .

ـ حالتك لها أكثر من تفسير .

ـ تفضلى .

فاجأتنى بقولها :

ـ أحد التفسيرات هو (السومنا بلزم) (Somnambulism) .

طبعًا أعرف هذا المصطلح وأفهم معناه جيدًا .. لكنى ادعيت

الجهل حتى لا تشك فى أمرى .. قلت :

ـ ماذا ؟ ما معنى هذه الكلمة ؟

ـ أعنى : السير أثناء النوم .. (Sleepwalking)

كنت قد حاولت أن أخفى دهشتى من تفسيرها لحالتى .. لكن بعد ذكر المرض باللغة العربية فلا أجد مانعًا الآن من إظهار دهشتى .. قلت لها بكل الدهشة المختزنة :

ـ هل هذا ممكن ؟

قالت ببساطة :

ـ ربما ما رأيته حدث بالفعل أثناء نومك .. فتحت الباب لجارك الذى طلب الأنبوبة .. وربما تحدثت معه .. وهكذا .

ـ ولكن هناك أشياء كثيرة حدثت فى أماكن مختلفة .. واكتشفت أنها لم تحدث .

ـ هنا بدأت الأحلام .

ـ هل يمكن أن توضحى أكثر ؟

ـ ما رأيته عبارة عن جزأين .. جزء حقيقى حدث بالفعل .. رأيته وأنت سائر أثناء نومك .. وجزء آخر تخيلت أنه يحدث ..

Loolaa www.ellolaa.com

رأيته فقط فى أحلامك أثناء نومك .

- هل تعنين أن كل ما رأيته الذى حدث والذى لم يحدث قد رأيته أثناء نومى ؟

- نعم .. وهذا يفسر وجود المسدس بجوارك على السرير .. لقد أخرجته من مكتبك وأنت نائم .. وربما استعملته أو تخيلت أنك استعملته .

- ربما .

- وبالنسبة لإصابات كتفك وبقية أجزاء جسمك .. قد تكون طرقت باب جارتك ليلاً ودفعت الباب بجسدك .

- لكن جارتى تقول أن هذا لم يحدث .

- لقد قلت لى أنها ليست جارتك وأنك قد قابلتها فى مكان آخر .

طبعًا لم أخبرها أن هذا المكان الآخر هو عيادتى .. قلت لها :

- نعم .. ولكنها فى تلك الليلة كانت جارتى .

- أعتقد أنك كنت تحلم .. لأنها لو كانت جارتك بالفعل لتذكرت مثلك ما حدث .. وهذا يفسر أيضًا قولك أن الشقة كانت خالية فى اليوم التالى و أنك لم تجد أحدًا فيها .

لقد كذبت على الطبيبة وقلت لها أن الشقة كانت خالية .. لم أخبرها أن الشقة قد تحولت إلى عيادة وأنها نفس العيادة التى نجلس فيها الآن .

قلت لها :

- نعم .. الشقة كانت خالية تمامًا .

- بالضبط .. ولهذا عندما طرقت بابها ليلاً ودفعته بكتفك مرات عديدة .. لم يفتح لك أحد .

- وما تفسير بقية إصابات جسدى ؟

- لا يوجد جارة .. وبالتالى لا يوجد بلطجى .. وهذا يعنى أنك لم تصارع أحدًا .. ربما كنت تضرب أثاث الشقة .. تلكم الحائط .. أو تركل الدولاب وهكذا .. إن السير أثناء النوم قد يجعلك تفعل أشياء عجيبة .

- ولكنى صارعت شخصًا بالفعل .. أحفظ شكله ويمكننى وصفه لك .. فمن هو ذلك الشخص ؟

- ربما كان ممثلاً شاهدته فى فيلم وكان يقوم بدور بلطجى .. ربما كان شخصًا رأيته فى الشارع يومًا وتخيلته بلطجى .

Looloo www.dvd4arab.com

شخصًا تذكرت شكله ولكنك لا تتذكر أين رأيته .

ـ وهذا أيضًا ينطبق على شكل الشخص الذى قتل حماتى ؟

ـ بالضبط .. ولكنه لم يقتل حماتك .. تذكر .. حماتك مازالت حية .. أعتقد أن هذا دليل كافٍ على أنها مجرد أحلام .. وأحلام غير منطقية بالمرة .

ـ كيف ؟

ـ هناك أشياء غير منطقية تؤكد على أنها مجرد أحلام وتخاريف .

ـ مثل ... ؟

ـ لماذا يختبئ القاتل فى منزل خطيبتك بدلاً من الاختباء فى منزل (أسامة) ؟

كان تفكيرها سليم ولكنى تضايقت من هذا التفسير المزعج ومن تحليلاتها السريعة الصحيحة ..

لقد بدا لى كل ما تقوله منطقيًا ..

إنها لا تتمتع بوجه جميل فقط ولكن بعقل جميل أيضًا .

قلت لها منزعجًا :

ـ ولكنى لم أسر أثناء نومى من قبل .

لمحت ابتسامة خافتة على شفتيها .. ابتسامة سعادة .. ربما كان سببها هو اعتقادها أنى اقتنعت بتفسيرها لحالتى .. وهذا يعنى نجاحها فى تشخيص أول حالة فى حياتها العملية .. قالت :

ـ ربما بدأت معك هذه المشكلة مؤخرًا .. إن السير أثناء النوم قد ينتج عن التعرض لمشكلات عقلية ونفسية .. أو الإصابة باضطرابات عصبية .. فهل تعرضت لأى مشاكل مؤخرًا ؟

أجبتها ببساطة وقد ازداد خوفى من حقيقة هذا الاحتمال :

ـ نعم .. تعرضت لصدمة كبيرة .. فسخ خطوبتى .

ظهرت الدهشة عليها وهى تقول :

ـ فسخ الخطوبة ليست صدمة كبيرة يا أستاذ (شكرى) .

أجبتها بحزن :

ـ ربما بالنسبة للبعض .. أما بالنسبة لى فأنا فقدت أجمل إنسانة فى حياتى .. لقد انتهت أجمل قصة حب يمكن أن يعيشها إنسان .. لقد أحببتها أكثر من أى عاشق أحب حبيبته على مر العصور والأزمان .

Looloo
www.dvd4arab.com

سألتنى باهتمام :

ـ من الذى فسخ الخطوبة .. هى .. أليس كذلك ؟

ـ لا .. إنها أمها .

ـ لماذا ؟

أجبتها بهدوء :

ـ عندما علمت أنى الذى صدمتها بسيارتى .

قالت مندهشة :

ـ ولماذا تصدم حماتك بسيارتك ؟ .. معها حق أن تفعل ما فعلته .

ـ لا .. أنا لم أصدم حماتى بسيارتى .. لقد صدمت خطيبتى .

قالت بابتسامة جانبية :

ـ خطيبتك .. التى تحبها أكثر من أى عاشق أحب حبيبته على مر العصور و الأزمان .

ـ نعم .. للأسف .

فجأة انتابتها حالة من الضحك الهستيرى .. وقالت :

ـ لم أر هذا فى حياتى أبدًا .

حاولت إظهار غضبى من ضحكها لكى توقف الضحك .. لكنها لم تتوقف وقالت :

ـ إذا كنت تفعل هذا مع حبيبتك .. فماذا تفعل مع عدوك ؟

واستمرت فى الضحك .. حاولت تغيير مجرى الحديث فسألتها باهتمام :

ـ وماذا عن الأسباب الأخرى ؟

هدأت ضحكاتها وقالت :

ـ أى أسباب ؟

ـ الأسباب التى تجعلنى أسير أثناء نومى .

طبعًا .. أنا أعلم الأسباب كلها ولكنى كنت أسألها لـ ...

أولاً : لأبين لها جهلى وأننى إنسان عادى وليس طبيب نفسى .

ثانيًا : كنت أفكر معها .. كنت أحتاج لعقل يشاركنى التفكير حتى أتوصل لحل .

ثالثًا : كنت أختبرها .. أختبر زميلة مهنة .. هل ستنجح فى أولى جلساتها أم لا ؟

قالت :

ـ هناك الأسباب الوراثية .. قد يكون أحد أقاربك يسير أثناء نومه .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا أعتقد أن السبب وراثى فأنا أعلم كل شىء عن أقاربى ولم يكن أحدهم يسـ ..

ابتسمت ابتسامة جانبية وقاطعتنى قائلة بذكاء :

ـ ومن أدراك يا أستاذ (شكرى) ؟

ـ أنا متأكد يا دكتورة .

قالت معترضة :

ـ لا يمكنك التأكد من شىء كهذا .. هناك بعض الأمور تكون سرية جداً .. ولو أن هناك أحدًا فى عائلتك يسير أثناء نومه فلن تعرف .. وإذا عرفت فسيطلب منك عدم إخبار أحد .. وهكذا يظل هذا المرض سرًا .

ـ نعم .. معك حق .

يا إلهى .. هل أسير أثناء نومى .. وقد ورثت هذا المرض عن قريب لى ؟ ..

بدلاً من أن يورثنى مالاً أو أرضًا .. يورثنى مرضًا لعينًا .

* * *

22 ـ حالة غير عادية ..

قلت للدكتورة (ريهام) :

ـ وما هى التفسيرات الأخرى لحالتى ؟

سألتنى مندهشة :

ـ ألم تقتنع بهذا التفسير ؟

ـ نعم .

ثم شعرت أنى سأفضح نفسى إذا ذكرت أسباب كثيرة لذا قلت باختصار :

ـ لأن ما رأيته كان واضحًا وأتذكره جيدًا .. فكيف أتذكره وأنا كنت نائمًا وقتها ؟!

ـ سبب وجيه .

ـ حسنًا .. أخبرينى بالتفسيرات الأخرى .

ـ يوجد تفسير آخر لحالتك .. هو الهلاوس Hallucinations .. حالتك يمكن تفسيرها على أنها هلاوس بصرية وسمعية وشمية و ...

قاطعتها قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أهلوس ! .. لا ..لا .. أنا أسير أثناء نومى بالتأكيد .

ضحكت د . (ريهام) ضحكة صافية وقالت :

ـ لماذا تفضل السير أثناء النوم على الهلوسة ؟

قلت لها مفسرًا :

ـ السير أثناء النوم .. يمكن التحكم فيه .. يمكننى أن أتحرك براحتى طوال اليوم .. وأحاول عدم النوم إلا إذا كنت بمفردى .. وإذا كنت مع أحد فسوف أطلب منه تقييدى قبل النوم .. أما الهلوسة فأخطر بكثير .

ـ كيف ؟

ـ الهلوسة تعنى أننى مجنون رسميًا .. ومن الأفضل أن يحتجزونى فى مستشفى حتى لا أكون مصدر خطر على أهلى أو جيرانى .. فربما أهاجمهم معتقدًا أنهم يهاجموننى أو معتقدًا أنهم مخلوقات فضائية .. إن الهلوسة تعنى الضياع .. بين ما هو حقيقى وما هو غير حقيقى .. إن الهلوسة تعنى نهايتى كإنسان طبيعى .

ـ ليس لهذه الدرجة .. إن الهلوسة أنواع ودرجات .

قلت لها بحزم :

ـ لا أعتقد أنى أهلوس لأننى لست مجنونًا ولم أتعاط مخدرات أو أشرب خمرًا .

قالت لى بذكاء :

ـ ربما شربت دون أن تدرى .

ضحكت قائلاً :

ـ أتقصدين أنى شربت أثناء نومى .. وعندما استيقظت بدأت الهلاوس نتيجة لما شربته أثناء النوم ؟ .. أى « سير أثناء النوم» و « هلاوس » .. التفسيران معًا .

ـ هذا احتمال وارد .. ولكنى لم أقصد هذا .

ـ وما الذى تقصدينه ؟

ـ إن المخدرات وعقاقير الهلوسة كثيرة ومتنوعة .. منها الطبيعى مثل الحشيش والأفيون (Opium) .. ومنها الصناعى مثل : إل . إس . دى (L S D) .. وطرق التعاطى عديدة .. منها الشم .. مثلاً : مررت بجوار مجموعة أشخاص يتعاطون المخدرات

Looloo
www.liivd4arabic.com

فشممت الرائحة دون أن تدرى .. ومنها الشرب .. مثلاً : وضع شخص حبوب هلوسة فى مشروبك وشربته دون أن تدرى .. وهناك أيضًا الـ ...

فكرت فى المثال الأخير وقلت مقاطعًا حديثها :

ـ ولماذا يفعل هذا الشخص شيئًا كهذا ؟

ـ ربما شخص يكرهك .. وقد يكون شخصًا يحبك .

ـ شخص يكرهنى أو شخص يحبنى .. كيف ؟

قالت بذكاء :

ـ ربما شخص يكرهك .. لأن الإنسان تحت سيطرة الهلوسة قد يفكر فى الانتحار أو يفعل أشياء بغيضة .. يدمر ممتلكات الآخرين .. وقد يقتل وهذا ما حدث معك عندما فكرت فى استخدام المسدس .

ـ والشخص الذى يحبنى .. ؟

ـ ربما يكون فعلها بحسن نية معتقدًا أنك ستعيش ساعات من اللذة و المتعة وهذا ما حدث معك عندما تخيلت نفسك مع امرأة ـ ليست زوجتك ـ فى فراش واحد .

ضحكت قائلاً :

ـ أعتقد أنى أميل لاحتمال الشخص الذى يكرهنى .

ـ وهل عرفت هذا الشخص ؟

ـ نعم .. عرفته .

ـ وكيف توصلت إلى معرفته ؟

ـ لأن حالة الهلوسة بدأت بعد خروجى من عنده .

* * *

تذكرت واستنتجت ما حدث ..

لقد أعطانى (أسامة) العصير فى شقته .. وشربته .. لم أتوقع أنه دس شيئًا فيه .. شيئًا له مفعول المخدرات وعقاقير الهلوسة .. شيئًا جعلنى أعيش فى عالم آخر .. عالم من ابتكارى وإبداعى وخيالى .

لقد بدأت الهلوسة بعد عودتى لشقتى .. الحمد لله أنها لم تبدأ

Looloo
www.dvd4arab.com

أثناء قيادتى السيارة .. وربما بدأت .. الله أعلم .. ربما خطط (أسامة) لأموت أثناء القيادة .. أو أموت منتحرًا .. وربما خطط لإدخالى السجن نتيجة تصرفاتى الجنونية تحت تأثير الهلوسة .

لقد جعلنى (أسامة) أمر بحالة غريبة .. أعيش تجربة فريدة من نوعها .. انتقلت فيها لأماكن مختلفة وأنا لم أغادر شقتى .. مررت بأحداث يوم كامل خلال ساعات معدودة انتهت بنومى فى السرير لأستيقظ ظهر اليوم التالى معتقدًا أن ما تخيلته قد حدث بالفعل .. لقد تخيلت طلوع الصباح أثناء الليل .. وتخيلت أناس يدخلون ويخرجون .. تخيلت صراعات ومطاردات وخيانة وقتل .. لقد عشت ساعات لم أعشها .. ورأيت أشياء لم تحدث .. وفى نفس الوقت رأيت أشياء حدثت .. مثل زيارة (مرسى) .. لقد زارنى بالفعل .. لكنى خشيت أن يرى عندى امرأة ليست عندى أصلاً .. أما (لؤى) زارنى منذ أسبوع .. لكنى تخيلت زيارته لى بالأمس .

كان خليطًا عجيبًا من الواقع والخيال .. ذكريات وتخيلات .. رغبات وصدمات .. صلح ثم غدر .. براءة ثم خيانة .. حب ثم

كراهية .. ليل ثم نهار .

كانت حالة غير عادية .

شكرت الدكتورة على الجلسة وهممت بالانصراف فسألتنى :

ـ ألن تسمع بقية التفسيرات ؟

ـ لا أحتاجها .. أعتقد أن التفسير الأخير هو التفسير المنطقى الوحيد .

ـ لماذا ؟

ـ لأنى لا أسير أثناء نومى ولا أتعاطى مخدرات لذا الاحتمال الوحيد أن أحدهم دس حبوب هلوسة فى مشروبى لكى أهلوس ويتخلص منى إما بالموت أو السجن .. لكن ما يحيرنى كيف تخيلت كل هذا ؟ ولماذا ؟ لماذا لم أتخيل كائنات فضائية مرعبة ؟ لماذا لم أتخيل أشياء خارقة للعادة ؟ لماذا تخيلت أشياء عادية قد تحدث لى بالفعل ؟

ـ هذا يعود إلى نوع الحبوب التى تناولتها .. ويعود إلى عقلك الذى تعامل مع تأثيرها .. فربما لم تتخيل كائنات فضائية لأنك

www.dvd4arab.com

لاتخاف من الكائنات الفضائية .

قد تكون محقة .. لقد عبرت الهلاوس عن مخاوفى .. وأكبر مخاوفى هى فقد (نادين) .. إن نهاية العالم لن تكون بغزو الكائنات الفضائية .. إن نهاية العالم ـ بالنسبة لى ـ هى فقدان (نادين) .

أما الكائنات الفضائية فلا تشغل تفكيرى مطلقًا .. ربما تكون مخاوف بالنسبة لآخرين .. فكل شخص له أحلامه وكوابيسه ..

لا يمكنك أن تجد فقيرًا يحلم بانهيار الأسهم فى البورصة .. هذه أشياء أكبر من مخاوفه .. ولا يمكنك أن تجد ثريًا يحلم بشراء رغيف عيش .. هذه أشياء أصغر من طموحاته .

قالت :

ـ لقد كانت تخيلاتك عبارة عن نسيج متقن من رغباتك وطموحاتك ومخاوفك و .. حياتك نفسها .

ـ لقد رغبت فعلاً فى نجاح الوسيط و عودة خطيبتى لى .. لكن لماذا تخيلت وجود امرأة أخرى معى فى الفراش ؟ أنا لا أرغب فى هذا .

ـ هذه مجرد رغبات مكبوتة أخرجتها الهلاوس .

ـ لا أعتقد أنها رغبات مكبوتة .. وإلا كنت تخيلت حدوثها .. لا تنسى أنه لم يحدث شىء بينى وبين تلك المرأة .. ولقد ضبطوها عندى فهل هذه أيضًا رغبة مكبوتة ؟

ـ ربما تخيلت هذا لأنك تخشى حدوثه .. تخشى فقدان حبيبتك بسبب خطة دنيئة .

فكرت قليلاً ثم قلت :

ـ وربما تخيلت هذا لأنه حدث معى من قبل .. فلقد ضبطتنى خطيبتى فى مرة سابقة .. كنت أحتضن ...

توقفت عندما لمحت الانزعاج على وجه الطبيبة فقلت لها :

ـ لا تفهمى خطأ .. لقد كنت أحاول منع فتاة من الانتحار .. فرأتنى خطيبتى فاعتقدت أننى أحتضنها .. وهكذا ظنت أنها ضبطتنى متلبسًا (*) .

ظهرت نظرة ارتياح على وجه الطبيبة .. ثم قالت :

ـ وهذا ما حدث لك .. لقد ضبطت خطيبتك مرة أخرى ولكن هذه

(*) راجع (مستحيلة)

www.dvd4arab.com

المرة فى الخيال .. لقد اعتمد عقلك على مشاهد سابقة من حياتك .

ـ ولكن هناك تفاصيل كثيرة .. قصة طليق جارتى وأخيها .. هذه أشياء لم تحدث معى من قبل .. هل يمكن أن تكون الهلاوس بهذه الدقة ؟

ـ ربما تكون مشاهد من حياتك ولكنك نسيت أنها حدثت لك .. مثلاً : جارة اشتكت لك من غيرة زوجها .. قريبة اشتكت من تهديدات طليقها أمامك .. صديقة لها أخ بطل مصر فى رفع الأثقال .. وبهذه الطريقة يكون عقلك جمع الأجزاء وكون منها قصة خيالية منطقية .. قصة أنت بطلها .. تحب .. تكره .. تتخدع .. تقاتل .. تنقذ .. تكتشف .. تهدد .. تنتقم .. هلاوس مليئة بالإثارة والحب والانتقام .. كل هذا من نسج خيالك تحت تأثير العقار .

ـ تحليلك رائع يا دكتورة .

ابتسمت الطبيبة بخجل .. شكرتها مرة أخرى وخرجت من العيادة ..

وفى شقتى .. أخرجت المسدس من مخبأه وتأكدت أنه خال تمامًا من الرصاص فأنا لا أريد أن تتحول الهلاوس إلى واقع .

قررت أن أعرف الحقيقة بنفسى .. لابد أن أجبر (أسامة) على الاعتراف بجريمته .. وأتمنى أن يكون ارتكبها فعلاً .. لأنه لو كان بريئًا فهذا يعنى أنى أسير أثناء نومى .. أو أهلوس فعلاً .. أو احتمال آخر من الاحتمالات التى لم أسمعها .

خرجت من شقتى و كنت أضع المسدس فى جيبى .. لمحتنى د. (ريهام) وهى واقفة فى عيادتها .. سألتنى بدهشة :

ـ ما هذا ؟

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

23 ـ لعبة خطرة ..

لا أعلم هل رأت د . (ريهام) المسدس وأنا أضعه فى جيبى أم لا .

اتجهت بهدوء نحوها .. وقلبى ليس مطمئنًا .. عادت تكرر سؤالها :

ـ ما هذا ؟

لم أرد .. فوجدتها تقول مبتسمة :

ـ يبدو أننا جيران .

ضحكت لأدارى توترى وحرجى .. وقلت :

ـ نعم .. لقد كذبت عليك .

ـ لماذا ؟

مددت يدى لها و قلت مبتسمًا :

ـ فلنتعارف من جديد .. أنا د . (ياسين العوضى) .. طبيب نفسى .

مدت يدها ورحبت بى قائلة وعلى شفتيها ابتسامة جميلة :

ـ كنت أعرف .

قلت مندهشًا :

ـ ماذا ؟ كيف ؟

ـ أنت جارى .. فيجب أن أعرفك جيدًا .

ـ لكنك لم تخبرينى بذلك .

ابتسمت مرة أخرى وقالت :

ـ وأنت أيضًا لم تخبرنى باسمك الحقيقى يا أستاذ (شكرى سليمان) .

ثم اختفت ابتسامتها فجأة وسألتنى بجدية :

ـ د . (ياسين) .. هل كل ما أخبرتنى به أثناء الجلسة كذب مثل اسمك المستعار أم إنه حدث لك بالفعل ؟ أم إنه حدث لحالة عندك ؟

ـ للأسف .. حدث لى بالفعل .

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت :

ـ لقد اعتقدت أنك زرتنى وادعيت أنك مريض لتختبرنى .

ثم توقفت للحظة قالت بعدها :

ـ تقول أنه حدث لك بالفعل .. هل تعنى أن شقة جارتك هى هذه

Looloo
www.dvd4arab.com

العيادة ؟ أم إنها ...

قاطعتها بـ ...

ـ نعم .

ـ ولكنك قلت أنك وجدتها خالية فى اليوم التالى .

ـ كذبت .. لم أرد قول أنى وجدتها تحولت إلى عيادة حتى لا تشكين فى أمرى .. وتتوصلين للحقيقة .

ـ ولماذا كل هذا الكذب ؟

ضحكت قائلاً :

ـ أسباب شخصية .

قالت ضاحكة وقد فهمت ما أعنيه :

ـ يا للأطباء النفسيين !

ـ أهنئك .. لقد صرت واحدة منهم .

ابتسمت عند سماعها جملتى .. فتابعت قائلاً :

ـ الحمد لله أن عيادتك أمام شقتى .. وليست أمام عيادتى .

ـ لماذا ؟

ـ أنت طبيبة ممتازة بالفعل .. لذا لو أن عيادتى هنا أو عيادتك

هناك لتحول مرضاى إلى عيادتك ولن أجد واحدًا يدخل عيادتى بعد ذلك .

ظهرت السعادة جلية على وجهها وقالت :

ـ هذه شهادة كبيرة أعتز بها يا دكتور .. شهادة من طبيب شهير جداً مثلك .

ضحكت قائلاً :

ـ لست شهيرًا .. أنت تبالغين جدًا .

ـ لا .. ما أقوله أقل بكثير من الواقع .. لقد سمعت عنك الكثير .

ـ يبدو أنك سألت جيدًا عن جارك .

تورد وجهها بحمرة الخجل وقالت :

ـ أنت لست جارًا فقط .. أنت زميل مهنة .

ابتسمت وقلت :

ـ سأستأذنك .. لدىَّ مشوار مهم جداً .

سألتنى بفضول :

ـ هل ستذهب للشخص الذى تشك فيه ؟

ـ نعم .. ولو أن تفسيرك صحيحًا فلا يوجد أحد غيره يمكنه فعلها .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت بقلق :

ـ انتبه لنفسك .

ـ اطمئنى .

كدت أخرج من العيادة لولا أنى تذكرت شيئًا فعدت لأقول لها :

ـ بعد أن تعارفنا بطريقة صحيحة .. سأسألك من جديد وأجيبى بصراحة : هل تقابلنا من قبل ؟

ـ ما زالت الإجابة « لا » .

ضحكت قائلاً :

ـ يبدو أنها حالة (ديجا فو) .

* * *

فتح (أسامة) باب شقته .. فرآنى .. تغيرت تعبيرات وجهه .. كان منظره مضحكًا وكأنه رأى شبحًا ..

يبدو أنه قد توقع موتى نتيجة الهلاوس .. وهذا يؤكد صحة تفسير د . (ريهام) ويؤكد أنه المنقذ .

لمح الشر فى عينى فعرف أن مصيره سيكون أسود ..

حاول إغلاق الباب بسرعة .. لكنى كنت أسرع منه .. دفعت الباب بقوة ودخلت .. يبدو أننى أصلح لأكون بلطجيًا فى المستقبل .

دخلت شقته فوجدت (نادين) وأمها ..

مفاجأة غير متوقعة .

وقفت حماتى (سابقًا) .. وقالت بغضب :

ـ ألم أحذرك من قبل ؟ ألم أقل لك أننى ...

قاطعتها مبتسمًا :

ـ لقد منعتنى من زيارتك .. ولكنك لم تمنعينى من زيارة (أسامة) .. صديقى .

ـ على أى حال .. ليس من اللائق تواجدك هنا .. خاصة أننا نقرأ الفاتحة الآن .. لقد طلب (أسامة) يد (نادين) ووافقت .

نظرت إلى (نادين) ..

خطيبتى (سابقًا) وحبيبتى « سابقًا وحاليًا و لاحقًا وإلى الأبد » شعرت أنها تكتم مشاعرها أمام أمها .. شعرت أنها تمنع الدموع من السقوط .. تمنع الكلمات من الخروج .

قال (أسامة) وعلى وجهه ابتسامة صفراء :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كما قالت حماتى « ليس من اللائق تواجدك هنا » .. ولو أردت نصيحتى : لا تحاول عمل أى شىء .. لقد صارت (نادين) لى .. ولن تكون لغيرى أبدًا .

إنه يحاول إغاظتى .. تحليت بالصبر وقلت :

ـ لو أردت نصيحتى : اصمت .

ثم اتجهت إلى أم (نادين) وقلت لها :

ـ ابن أخيك الذى تريدين تزويجه لابنتك ليس ملاكًا كما تتصورين .. إنه شيطان .. وإن كنت تكرهيننى لأنى صدمت ابنتك بسيارتى وكدت أقتلها خطأ .. فابن أخيك كاد يقتلنى عمدًا .

صاح (أسامة) محتجًا :

ـ ما هذا الذى تقوله ؟!

قلت له وأنا أنظر فى عينيه :

ـ لقد دسست حبوب الهلوسة فى مشروبى .. ألا تعتبر هذه جريمة ؟

رأيت نظراته التى أكدت لى أننى أصبت كبد الحقيقة .. كان مرتبكًا ولسان حاله يقول « كيف عرفت ؟ » .. لذا أكملت قائلاً :

ـ وأنت تعلم جيدًا أن من يتعاطى مثل هذه الحبوب قد يقتل نفسه بسهولة .. إنها محاولة قتل ذكية .. ترتكب جريمتك دون أن يراك أحد .

اتجه (أسامة) إلى أم (نادين) وقال لها :

ـ لا تصدقيه يا عمتى .

لقد خاطبها هذه المرة بـ (عمتى) وليس (حماتى) .

ثم نظر إلى ابنتها وقال :

ـ لا تصدقيه يا (نادين) .

ـ وتحت تأثير هذه الحبوب .. كان من الممكن أن أقتل أحد جيرانى دون أن أدرى أو أقتلهم جميعهم .. وعندما ينتهى المفعول أجد السجن فى انتظارى أو حبل المشنقة .. ولهذا كله أعتقد أن جريمة (أسامة) أكبر بكثير من خطأ حادث السيارة .

قالت أم (نادين) بثقة :

ـ لا أصدق حرفًا مما تقوله .. إن ابن أخى رجل شريف .. وإذا ارتكب خطأ فانه يعترف به على الفور

قلت لها بغضب :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنا لا أتحدث هنا عن خطأ .. أنا أتحدث عن شروع فى قتل .

ـ ابن أخى لا يفعل ذلك .. إنه ليس مجرمًا .. أما أنت فصدمت ابنتى ولم تعترف بجريمتك .

قلت لها وقد نفد صبرى وشعرت أن الوقت حان لاستخدام اللعبة الخطرة :

ـ حسنًا .. سأجعله يعترف أمامك الآن بجريمته .

وأخرجت المسدس وصوبته ناحية رأس (أسامة) وقلت بلهجة قاسية :

ـ اعترف .

نهضت (نادين) وصاحت :

ـ لا .. (ياسين) .. أرجوك .

يا إلهى .. لقد ظلت صامتة .. لم تنطق إلا عندما شعرت أن حبيبها على وشك ارتكاب جريمة .. ليس خوفًا على ابن خالها .. بل خوفًا على مستقبل حبيبها .

أما أمها فقالت :

ـ ما هذا ؟ .. أنت فعلاً مجرم .. تحمل مسدسًا فى جيبك .. أى

طبيب أنت ؟!

صاحت (نادين) قائلة :

ـ أرجوك .. أبعد هذا المسدس .. أرجوك .. لا تتهور .

أظهرت بعض الغضب وقلت لـ (أسامة) :

ـ اعترف .. قبل أن أنسف رأسك .

قال وعلى وجهه مظاهر الرعب والفزع :

ـ سأعترف بكل شىء .. فقط أبعد هذا المسدس عنى .

قالت حماتى :

ـ وهل تعتقد أنى سأصدق أى كلمة سيقولها الآن ؟!

اقتربت (نادين) منى وقبضت على ذراعى ـ الممسكة بالمسدس ـ بيديها .

قالت والدموع تتساقط من عينيها الجميلتين :

ـ أرجوك .. اترك هذا المسدس .. أرجوك .. لن أحتمل دخولك السجن .. أرجوك .

قالت حماتى :

ـ اترك هذا المسدس الآن وإلا أبلغت الشرطة .

Looloo
www.looloo.com

أما (نادين) فقالت بكل ألم :

- إن كنت ستقتل أحدًا فاقتلنى أولاً .

وفوجئت بها تقف أمام (أسامة) لتحميه أو لتمنعنى من قتله ..

يا إلهى ..

لقد رأيت هذا من قبل ..

حالة (ديجا فو) ..

ربما ..

ولكنى رأيته بالفعل ..

رأيته فى هلاوسى ..

وتذكرت ما حدث بعد ذلك ..

ولكنى تذكرت بعد فوات الأوان ..

لقد سمعت دوى الرصاصة ..

ثم رأيت بعدها الدماء ..

بقعة دماء تكونت على ثياب (نادين) ..

فى منطقة القلب بالضبط ..

قلب (نادين) .

24 - قلب ملاك ..

تركت المسدس ..

واتجهت إلى (نادين) التى سقطت فجأة ..

بعد سقوط (أسامة) .

تأملت الدماء التى على ثيابها .. وتفحصتها .. لم أجد أى ثقوب هناك .. إن ثياب (نادين) سليمة .. لم تخترقها أى رصاصة .. وهذا يعنى أن جسدها سليم أيضًا ..

نظرت إلى (أسامة) .. كانت الدماء تغرقه ..

وفهمت ما حدث ..

لقد اخترقت الرصاصة جسد (أسامة) ولأن (نادين) كانت واقفة بالقرب منه فتناثرت دماؤه على ثيابها .. سقط (أسامة) متأثرًا بإصابته الخطيرة .. أما (نادين) فقد سقطت لأنها فقدت وعيها .

فقدت وعيها لأنها رأت دماء ابن خالها .. وربما لأنها اعتقدت أنى قتلته .

Looloo
www.dvd4arab.com

صرخت أمها قائلة :

ـ لاااااااااااااااا .. (أساااااااااامة) .

وهبطت على الأرض تحتضن ابن أخيها .

هنا فوجئت بطرقات عنيفة على الباب .. والجرس اللعين يصيح بلا انقطاع .. يبدو أنهم الجيران جاءوا عندما سمعوا صوت الرصاصة ..

دفعوا الباب ودخلوا ..

صاحت أم (نادين) وهى تشير نحوى :

ـ أمسكوه .. لقد قتله .

صاح أحد الواقفين :

ـ أمسكوا المسدس .. أمسكوا سلاح الجريمة .

ولكنى أمسكت المسدس قبل أن يحاول أحدهم الوصول إليه ..

ثم وقفت فتراجع الجميع وصاح أحدهم بذكاء :

ـ هل تريد قتلنا جميعًا ؟

تمالكت أعصابى وقلت :

ـ من فضلكم اسمعونى .. أنا لم أقتل أحدًا و لا أنوى قتل أحد فلا تدفعونى لارتكاب جريمة .

ـ ما الذى تريده ؟

ـ أولاً : اطلبوا الإسعاف .. فقد يمكننا إنقاذه .

صاحت أم (نادين) :

ـ لقد مات .. لقد مات .. وأنت قتلته .

شعرت أن الجيران ازدادوا غضبًا منى بعد تصريحها .. فقلت لهم :

ـ اهدءوا .. سوف أسلم نفسى .. لذا لا داعى من ارتكاب أى حماقة .

ـ حسنًا .. سلم نفسك وسلمنا المسدس الذى تحمله .

ـ لا .. لن أسلمه قبل أن تبحثوا معى عن القاتل الحقيقى .. إنه يختبئ هنا .

ـ أين ؟

ـ فى إحدى هذه الغرف .. ابحثوا جيدًا .. أرجوكم

وتطوع بعضهم ودخلوا ليبحثوا عن القاتل .. بينما بقى البعض

Looloo www.l4lool.com

الآخر ليراقبنى حتى لا أهرب .

بعد قليل خرجوا جميعهم من الغرف وقالوا :

ـ لم نجد أحدًا .

ـ هل بحثتم فى الحمام والمطبخ ؟

ـ بحثنا فى كل شبر فى الشقة .

معهم حق .. فعددهم كبير .. ومن السهل أن يبحثوا فى كل أنحاء الشقة فى هذا الوقت القصير ولكن ..

ربما اختبأ القاتل وسطهم الآن .. ربما القاتل هو أحدهم .. كان بالداخل وانتظر دخولهم للبحث عنه ثم خرج وكأنه أحدهم .. كيف سأعرف ؟ .. كان لابد أن أقوم بعدّهم قبل بدء البحث ثم أقوم بعدّهم بعد انتهاء المهمة .

صاح أحدهم :

ـ لقد نفذنا ما طلبته .. حان الوقت لتسليم نفسك .

ثم صاح آخرون لتأييده ..

لم أجد مفرًا من تسليم نفسى .. أنا متأكد أنى لم أقتله لأن

المسدس كان خاليًا من الرصاص ولكن هل سيستطيع التحقيق إثبات ذلك ؟ إثبات أن الرصاصة لم تخرج من هذا المسدس .. أم إنهم سيقتنعون بشهادة الجيران وهم كثيرون ؟

يا إلهى .. هل سأدخل السجن أم ... ؟

وشعرت أن فكرة الهروب فكرة جميلة .. لكن إلى أين ؟ .. سوف أدخل إحدى هذه الغرف .. ثم أخرج من النافذة .. ثم ..

ما هذا ؟

لقد مررت بهذا الموقف من قبل ..

لقد هربت بالفعل ..

وأثناء هروبى رأيت القاتل .

صحت قائلاً :

ـ لقد عرفت مكان القاتل .. إنه يقف على الإفريز بالخارج .. أمسكوه قبل هروبه .

لم يقتنعوا بحديثى ولكنى قلت :

ـ هذا هو طلبى الأخير .. لن أطلب أى طلب آخر .. أم إنكم

Looloo
www.dvd4arab.com

مستعدون لتحمل مسئولية إدخال برىء إلى السجن وترك القاتل حرًا طليقًا ؟

قال أحدهم بحكمة :

ـ لن نخسر شيئًا .. فلنبحث .

ودعوت الله أن يجدوه .

يا رب .. يا رب .

* * *

خرجوا جميعهم ولم ينطق أحدهم بكلمة ..

يبدو أن تخميني كان سيئًا ..

سوف أسلم نفسي ..

ولكن ..

يبدو أن هناك شخصًا لم يخرج بعد لأني شعرت بهم ينتظروه .

وبالفعل .. خرج آخرهم وكان يمسك شخصًا آخر من ذراعه بقوة .. ثم قال :

ـ ها هو القاتل .

قال الآخرون جملاً مثل : « لقد ظلمناك » .. « أنت برىء » ..

« اتركوه » .. الخ .

وتركني الجميع وتحررت أخيرًا ..

لم أصدق نفسي .. لقد تمت تبرئتي في نفس وقت إدانتي ..

إن هذا الموقف حدث معي من قبل ..

هل هي حالة (ديجا فو) ؟

هل الـ (ديجا فو) إعادة لأحلامنا وتخيلاتنا ؟

لا أعرف .. ولكن ما أعرفه الآن هو أن حالة الـ (ديجا فو) قد أخبرتني بمكان القاتل وأنقذتني من تهمة القتل .

قلت لهم :

ـ الحمد لله أنكم قبضتم عليه .. ولكن أين سلاح الجريمة ؟

ـ لقد سقط منه في الشارع .. أثناء وقوفه على الإفريز .

ـ فليهبط أحدكم لإحضاره .

ـ لا تقلق .

هنا دخل شاب الشقة وقال بابتسامة :

ـ ها هو المسدس الذي سقط منك .. أي خدمة يا شباب ؟

نظرت إلى القاتل مرة أخرى وتأملت ملامحه .. لم يكن يشبه

Looloo
www.dvd4arab.com

القاتل الذى رأيته فى هلاوسى ، ولكن ..

كان يشبه (زناتى) .. إلى حد كبير .

* * *

وضعت (نادين) بهدوء فى سريرها وغطيتها ثم تركتها مع إخوتها الصغار .

خرجت من غرفتها وخرجت أمها ورائى .. توقعت أن تشكرنى لكنها لم تفعل .. وبالرغم من ذلك كنت سعيدًا .. سعيدًا لأنها سمحت لى بحمل ابنتها .. سعيدًا لأنها وافقت على توصيلى لهما بسيارتى و .. وافقت على دخولى شقتها .

أنا مقدر حالتها السيئة .. لقد مات ابن أخيها (أسامة) أمام عينيها .. ثم اكتشفت بعد ذلك أنه تاجر مخدرات .

نعم .. (أسامة) كان تاجر مخدرات من نوع خاص .. يتعامل مع عقاقير الهلوسة وبعض الأدوية الممنوعة .

أما القاتل فهو شريك (أسامة) السابق ـ فى أعماله القذرة ـ قبل سفره للخارج .. ويبدو أن بينهما ثأرًا قديمًا .. وقرر القاتل

الأخذ بثأره فى هذه الليلة .. اختبأ فى شقة (أسامة) وانتظر اللحظة المناسبة .. وللأسف كنا موجودين فى نفس هذه اللحظة .

مات (أسامة) .. لست سعيدًا بهذا .. و لكنه نال جزاءه .

وحتى الآن .. لا أعرف ما هو الشىء الذى وضعه لى فى المشروب .. أعتقد أنه عقار هلوسة له مميزات خاصة .. يجعلنى أهلوس وفى نفس الوقت لا أفقد عقلى .. فكنت أتمتع بعقل صاف وقدرة على التفكير والتركيز وتحليل الأمور .. لم أتخيل أشياء خارقة .. لم أر أجنحة تنبت لى أو أرنبًا يخرج من فمى .. بل جعلنى أتخيل أشياء طبيعية تحدث فى حياتى وحاولت تفسيرها أثناء الهلوسة .. كنت أهلوس بعقل إن جاز التعبير .. هلوسة مثل الأحلام .. أحلام واقعية .. أحلام يقظة .. ولهذا أرى أنه عقار من نوع خاص .

بالنسبة لـ (نادين) .. مازالت فاقدة الوعى .. وإخوتها بجوارها يحاولون إفاقتها .

للأسف لن أكون بجوارها عندما تستعيد وعيها .. لأن أمها لن

Looloo
www.looloo.com

تسمح بوجودى لحظة أخرى .

قالت لى قبل خروجى :

ـ د . (ياسين) .. لا تتصور أنى سأنسى ما حدث منك .. أو أنسى ما حدث الليلة .

يبدو أن الأمور لم تتحسن .. بل ساءت .

لم أناقشها .. وتذكرت حالتها السيئة .. لقد مات ابن أخيها أمامها .. حتى لو كان مجرمًا فإنه لا يزال ابن أخيها .

لقد رأت بنفسها المخدرات التى وجدوها الجيران فى شقته .. لكنها مازالت تحبه .

وقبل أن تغلق الباب .. فوجئت بها تقول :

ـ (نادين) لن تكون لك يا دكتور .. طالما أنا حية .

ابتسمت بسخرية .. لقد رأيتها تموت أمامى .. لم يكن (أسامة) فى تلك المرة .

وأغلقت الباب وشعرت أنها تغلقه فى وجهى للأبد .

* * *

عدت إلى شقتى ولكن قبل دخولها نظرت إلى عيادة د . (ريهام) .. كانت لا تزال مفتوحة .. دخلتها ..

كانت هناك تجلس خلف مكتبها تطالع مجلة طبية .

ابتسمت وقلت لها :

ـ لا أعرف كيف أشكرك .

ـ على ماذا ؟

ـ على الجلسة .. وعلى تفكيرك السليم الذى توصل لحل مشكلتى لقد ساعدتنى كثيرًا .

ابتسمت وقالت :

ـ لا تبالغ يا دكتور .

ـ أنا حائر فعلاً .. لا أعرف كيف أشكرك .

ضحكت قائلة :

ـ اشكرنى بالطريقة التى تعجبك .. لكن لا تفكر أن تصدمنى بسيارتك .

ـ اطمئنى .. لن يحدث هذا إلا فى حالة واحدة .. إذا كنت خطيبتى .

www.dvd4arab.com

لم تضحك .. لذا شعرت أن الدعابة كانت سمجة .. فحاولت تخفيف التوتر الناتج عن الدعابة .. فقلت :

- وجهك مألوف لى .. هل أنت متأكدة أننا لم نتقابل من قبل ؟

ضحكت قائلة :

- فى الواقع .. لقد كذبت عليك .. لقد تقابلنا من قبل يا دكتور .

صحت بسعادة :

- كنت متأكدًا .. لم تكن حالة (ديجا فو) .. لكن أخبرينى أين .

ابتسمت ابتسامة ساحرة وقالت بخبث :

- لا .. لن أخبرك .. سأتركك لتتذكر وحدك .

ضحكت قائلاً :

- حسنا .. كما تريدين .

ثم تحدثنا قليلاً فى أمور أخرى .. بعدها عدت إلى شقتى .. وبينما أخلع ملابسى اكتشفت وجود المسدس فى جيبى .. إنه لا يزال معى ..

ذلك المسدس اللعين كاد يوقعنى فى مشكلة كبيرة هذه الليلة .

وضعته بجوار أخيه .. شعرت أنهما ضيفان ثقيلان يجب

التخلص منهما .

وبسرعة .

* * *

انتظرت د . (ريهام) خروجى من العيادة ثم فتحت المجلة الطبية .

أخرجت صورة فوتوغرافية منها ثم أغلقتها .. تأملت الصورة جيدًا .. كانت صورة لى مع والدها فى إحدى الندوات العلمية .

قربت الصورة من شفتيها ثم طبعت قبلة طويلة عليها .. ثم قالت :

- أحبك يا د . (ياسين) .. وسوف أتزوجك .

ثم وضعت الصورة على صدرها .. فوق موضع قلبها بالضبط وقالت :

- حتى لو كان هذا آخر ما سأفعله فى حياتى .

* * *

أغلقت عيادتى .. وذهبت فى رحلة مصيرية من أجل إنقاذ ما

Looloo
www.dvd4arab.com

يمكن إنقاذه .. لم أكن أعلم أن هذه الرحلة ستحمل لى تجربة فريدة من نوعها .. تجربة من أفظع التجارب التى خضتها فى حياتى .. تجربة مع الخوف .. مع الرعب .. ومع الموت .

ولكن هذه حالة أخرى .

حالة خاصة جداً

جداً .. جداً

جداً

تمت بحمد الله

Looloo
www.dvd4arab.com

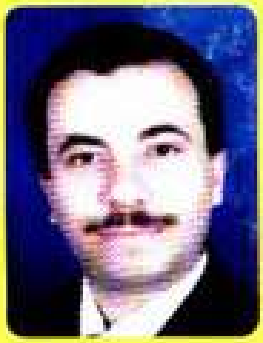

محمد رضا عبد الله

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسي .
يصارع للحفاظ على حياته .
والحفاظ على سلامة عقله .

حالة ديجافو

لقد رأيت هذا العنوان من قبل ..

أين ؟!

أين ؟!

آه !.. تذكرت : كان مكتوبا أسفل (العدد القادم)

على غلاف (حالة الفراشة السوداء) .

العدد القادم

حالة فوبيا

الثمن في مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع